اقليم كردستان العراق الفيدرالي
وزارة التربية

العقائد الاسلامية

(١)

الصف الخامس الاعدادي

اقليم كوردستان العراق الفدرالي
وزارة التربية

العقائد الاسلامية

(١)

الصف الخامس الاعدادي

تأليف
الدكتور رشدي عليان فرج توفيق الوليد

١٤٢٦ هـ - ٢٧٠٥ كوردي - ٢٠٠٥ م

مطبعة الشموع بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الاشراف على الطبع
جلال عمر رمضان - ابراهيم اسماعيل حسن

الاشراف الفني على الطبع
صباح سعيد عبد الله
كريم مولود حمه صالح

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم الانبياء و المرسلين ، وعلى آله وصحبه و من تبعهم باحسان الى يوم الدين .

فلما كان الايمان بالله تعالى يفجر المشاعر النبيلة ، ويوقظ فى الانسان حواس الخير ، و يربى فيه ملكة المراقبة فليتذكر دائما بأن الله يراه و يراقبه ، ثم يحاسبه بعد ذلك على ما عمل من خير او شر .

وكان الايمان برسل الله تعالى من شأنه ان يحمل الناس على ترسم خطاهم و التخلق باخلاقهم ، و التأسى بهم لان الله تعالى اصطفاهم وحملهم رسالاته ليبلغوها للناس .

وكان الايمان بما انزل عليهم من كتب شأنه ان يطلع الناس على المنهج الرشيد الذى انزله الله تعالى للناس ، فيسيرون عليه و فى ذلك صلاح دنياهم و اخراهم .

وكان الايمان باليوم الآخر فيه حافز للناس على طريق الخير و الابتعاد عن طريق الشر .

إن اهتمام -وزارة التربية- بتأليف كتب العقائد و فى هذه الاصول بالذات مساهمة منها فى اعداد جيل يميز بين الخير و الشر ، و الصالح و الطالح ، فيتبع الخير و يجتنب الشر ، جيل قادر على تحمل مسؤولية النهوض باعباء هذا الدين العظيم .

وكان لنا اعتزاز البالغ اذ أتاحت الوزارة لنا فرصة المساهمة فى تأليف هذه الكتب.

هذا بعض واجبنا نحو اجيالنا .

أما انت ايها المدرس الكريم فبواجبك أعرف و على تحمل مسؤوليتك أحرص و أقدر و أنت تؤمن بما تدرس تذلل كل صعب و توضح كل غامض و تعطى من نفسك خير مثل لطلبتك فى العقيدة الراسخة و السلوك القويم ، ولنا جميعا فى رسول الله ﷺ اسوة حسنة .

الدور الثانى :

فى نهاية القرن الاول و بداية القرن الثانى برز فى المجتمع الاسلامى فريق يعتمد النظر الفكرى والاستدلال العقلى فى تفسير النصوص القرآنية و الاحاديث النبوية ولم يقفوا موقف السلف منها .[١]

واكثر هؤلاء كانوا من الموالى -وهم المسلمون الجدد الذين تركوا دياناتهم القديمة و اعتنقوا الاسلام -[٢] وقد انضم الى هؤلاء بعض المفكرين و الادباء والبلغاء وقسم من الخلفاء العباسيين [٣] وقد شجعهم على ذلك ما فى القرآن الكريم من آيات تذكر العقل فى مقام التعظيم و التنبيه على وجوب العمل به و الرجوع اليه فى مختلف الشؤون وعدم اهماله او قبول الحجر عليه . [٤]

وكانت طريقة هؤلاء فى معرفة واثباتها و الدفاع عنها عقلية خالصة ، و كانت ثقتهم بالعقل و مدركاته لا يحدها الا احترامهم لاومر الشرع ، فكل مسألة من مسائل يعرضونها على العقل فما قبله أقروه و مالم يقبله أوّلوه وقد اضطرهم هذا الى تأويل بعض النصوص الدينية التى قد تبدو مخالفة لمسألة عقلية .[٥]

من هؤلاء القدرية والجبرية [٦] والمرجئة [٧] والمعتزلة .[٨]

وكانت ابرز المسائل التى أثارها هؤلاء هى مسائل القضاء و القدر ، وخلق القرآن ، الصفات الالهية ، و الكبائر وحكم مرتكبيها ، وقد حمل على هؤلاء جمهور العلماء كالامام الشافعى و الامام احمد و ابى يوسف ، ووصفوهم بمختلف الاوصاف ، واخف ما

---

(١) دراسات فى الفرق ١٣١ اثر التطور الفكرى على التفسير ٢٦٤ .

(٢) دراسات فى الفرق ١٣٠ .

(٣) اثر التطور الفكرى على التفسير ٢٦٤ .

(٤) اصول الدين الاسلامى ١٤ .

(٥) دراسات فى الفرق ١٢٩ - ١٣٠ ، اصول الدين الاسلامى (هامشه) ٢١ .

(٦) سيأتى بيان هاتين الفرقتين فى مبحث : القضاء والقدر

(٧) المرجئة : قوم يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . انظر تعريفات الجرجانى ٩١ المقتدى ١١٨ - ١١٩ .

(٨) المعتزلة : اصحاب واصل بن عطاء الغزال - اعتزل مجلس الحسن البصرى -انظر تعريفات الجرجانى ٩٧ والمقتدى ١١٥ .

قيل فيهم ما نقل عن الامام الاوزاعى انه قال : بلغنى أن الله اذا اراد بقوم شرا الزمهم الجدل و منعهم العمل .

هذا وقد ظلت السيادة الفكرية لهؤلاء من مطلع القرن الثانى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، وخلال هذه الفترة أسرفوا فى الاستدلال العقلى و فرضوا آراءهم بالقوة على الآخرين بل اضطهدوا من خالفهم مما انتج معارضة قوية لهم انتهت بالقضاء عليهم ايام المتوكل حيث اصدر امره بترك النظر و المباحثة فى الدين وترك ما عليه الناس أيام المأمون و المعتصم والواثق و أمر الشيوخ المحدثين -أصحاب النص و المنهج النقلى- بالتحديث و اظهار السنة وا لجماعة وامر الناس بالاتباع وكتب بذلك الى الآفاق فتوفر دعاء الخلق له و بالغوا فى الثناء عليه و التعظيم له حتى قال قائلهم -الخلفاء الثلاثة- أبوبكر الصديق يوم الـردة وعمر بن عبدالعزيز فى رده المظالم و المتوكل فى احياء السنة .[1]

الدور الثالث :

فى بداية هذا الدور برزت طبقة من العلماء امثال الحارث ابن أسد المحاسبى و عبدالله بن كلاب و ابى العباس القلانسى و آخرين ممن اعتمدوا الادلة و البراهين العقلية فى الاحتجاج على صحة الدين و دفع الشبه عنه .[2]

ثم تلا ذلك بروز الامام أبى الحسن الاشعرى[3] الذى كان معتزليا مدة طويلة ثم انشق عليهم ، وصار من القائلين بالنقل و العقل و بعبارة اخرى التوسط بين مذهب السلف والمعتزلة وكان له ابلغ الاثر فى الرد عليهم حتى قيل : قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الاشعرى فجحرهم فى قماع السمسم .[4]

---

(١) دراسات فى الفرق ١٣٠ - ١٣٣ ، اصول ا لدين الاسلامى ٢١ ، ٢٢ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢ .

(٢) دراسات فى الفرق ١٣٥ عن الملل والنحل للشهرستانى ١ / ١١٨ رسالة التوحيد ٩.

(٣) ابو الحسن الاشعرى (٢٦٠ - ٣٢٤) على بن اسماعيل ينتسب الى ابى موسى الاشعرى واليه تنتسب الاشعرية -من اشهر كتبه مقالات الاسلاميين و اختلاف المصلين ، والابانة عن اصول الديانة ، له قصة لطيفة فى خرجه عن المعتزلة بعد ان كان منهم اربعين سنة - انظر ان شئت المقتدى ٤٢ و دراسات فى الفرق ١٣٦ .

(٤) دراسات فى الفرق ١٣٣ - ١٣٥ عن الملل والنحل للشهرستانى ١ / ١١٨ المقتدى ٤٢ اثر التطور الفكرى ٢٥٢ اصول الدين الاسلامى ٤٢ رسالة فى التوحيد ٩ / ١٠ .

ثم جاء بعده الامام الماتريدى [1] و أعقبهما جملة من تلامذة الاشعرى ، مالوا الى رأيه و أبانوا عن منهجه منهم القاضى و الباقلانى ، ابن موزك الاسفراييني ، أبو المنصور البغدادى ، وامام الحرمين ، والامام الغزالى ، الشهرستانى ، وفخر الدين الرازى ، وقد قام هؤلاء بتوسيع آرائه حتى انتهت جهودهم بتكوين المدرسة الكلامية التى تحمل اسم (الاشاعرة و الاشعرية) ، وقد استطاعت المدرسة الاشعرية من بسط زعامتها الفكرية فى العالم الاسلامى منذ بداية القرن الرابع الهجرى و اقتسمتها مع شقيقتها المدرسة (الماتريدية) وقد كانت بين المدرستين نزاعات فى بعض العقائد الثانوية انتهت بمرور الزمن الى تسوية ووفاق .[2]

هذا بالنسبة للمتقدمين و أما بالنسبة للمتأخرين فلازلنا نرى من ينتصر لمذهب السلف ، من ينتصر لمذهب المعتزلة ، ومن ينتصر لمذهب الاشعرى .[3]

المطلب الثانى

علم العقائد

تعريفه - اسماؤه - موضوعه - نسبته للعلوم - حكمه - فائدته .

والكلام على ذلك فيا يأتى :

ا) تعريفه :

وعرفه العلماء بتعاريف منها: أنه العلم بالعقائد الدينية الناشئة عن الادلة اليقينية [4] و منها انه علم يبحث فيه عن اثبات العقائد الدينية من أدلتها النقلية والعقلية .[5]

٢) أسمائه :

لهذا العلم اسماء اشتهر بها ، منها :

---

(١) ابو منصور -محمد بن محمد بن محمود الماتريدى الحنفى المتوفى سنة (٣٣٣ هـ) أخذ عن ابى بكر الجرجانى عن الامام محمد ابن حسن الشيبانى عن الامام ابى حنيفة النعمان بن ثابت . انظر : رسالة فى التوحيد ٦ .

(٢) دراسات فى الفرق ١٣٨ أثر التطور الفكرى ٢٥٢ .

(٣) انظر اصول الدين الاسلامى و هامشه ٢١ فقرة ص ٤٥ دراسات فى الفرق ١٤٩ .

(٤) المقتدى ٤٢ .

(٥) رسالة فى التوحيد ٥ .

أ- **علم العقائد** ، سمى بذلك لانه يتكفل ببحث العقائد الدينية و اثباتها بالادلة اليقينية و الدفاع عنها ضد العقائد و الافكار المخالفة لها .[١]

ب- **علم التوحيد والصفات** ، سمى بذلك لان مسألتى التوحيد والصفات الالهية من اشهر مواضيعه و مباحثه .[٢]

ج- **الفقه الاكبر** ، سماه بهذا الاسم ابو حنيفة فى كتابه (الفقه الاكبر) حيث يذكر الامام : أن الفقه فى الدين أفضل من الفقه فى العلم لان الفقه فى الدين أصل والفقه فى العلم فرع و فضل الاصل على الفرع معلوم .[٣]

د- **علم النظر والاستدلال** ، سمى بهذا الاسم باعتبار المنهج الذى يعتمده والذى يقوم على التأمل الفكرى و النظر و الاستبدال فى مباحثه و موضوعاته .[٤]

هـ - **علم الكلام** ، سمى بذلك لعدة اسباب ذكرها العلماء و أهمها :

أ- إما لان أهم مسألة وقع الخلاف فيها هى مسألة (كلام الله تعالى) هل هو أزلى قائم بذاته تعالى أم مخلوق ؟ هذه المسألة التى أفضت الى قتل بعض العلماء ايام الواثق و سجن آخرين حتى آلت الخلافة الى المتوكل الذى أصدر أمره بترك النظر و المباحثة فى ذلك و ترك ما كان عليه الناس ايام المأمون و المعتصم و الواثق .

ب- و إما ان اصحابه تكلموا حيث كان السلف يسكتون ولا يخوضون فيه -و لعله ارجح الاقوال- فقد روى عن الامام مالك بن انس قوله : اياكم و البدع ، قيل يا أبا عبدالله وما البدع ؟ قال أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله و صفاته وكلامه وعلمه و قدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة و التابعون لهم باحسان .[٥]

٣) موضوعه :

ذات الله تعالى ، و ذوات انبيائه من حيث البحث عما يجب و يستحيل و يجوز

---

(١) اصول الدين الاسلامى ١٣ .

(٢) تعريفات الجرجانى ٣١ .

(٣) اصول الدين الاسلامى ١٢ .

(٤) دراسات فى الفرق ١٢٢ .

(٥) انظر : المقتدى ٤٢ دراسات فى الفرق ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٦ . تعريفات ٨٠ اصول الدين الاسلامى ١٣

لهم ، والسمعيات من حيث اعتقادها .[1]

٤) نسبته للعلوم :

يرى بعض العلماء أنه أصل العلوم قاطبة ، فقالوا : انه أصل وما سواه فرع له[2] وقال بعضهم نسبة الى غيره فى العلوم الاعمية ، لان العلوم منها عقلية كالطب والحساب ، و منها دينية كالكلام و الفقه ، و كل من العقلية والدينية ينقسم الى كلى وجزئى ، فالكلى فى الدينية (هو الكلام و سائرها جزئية) ثم ذكر الامثلة لذلك ، ثم قال : فهو رئيس العلوم الشرعية على الاطلاق لنفاذ حكمه فيها بأسرها .[3]

٥) فائدته وثمرته :

معرفة الله تعالى ورسله بالبراهين القطعية و ما يتفرع عنها .[4]

٦) فضله :

انه أشرف العلوم لكونه متعلقا بذات الله سبحانه و رسله (عليهم الصلاة و السلام) .[5]

٧) مقصوده وحكمه :

أما مقصوده فهو مسائله التى ثبتت فيه بالبراهين ، كاثبات الصانع و صفاته و كحدوث الجواهر والاعراض و بالدلائل السمعية كاثبات المعاد و الجنة و النار .[6]

و أما حكمة فهو الوجوب العينى على كل مكلف من ذكر و انثى اجمالاً و أما معرفته تفصيلا فهى فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين .[7]

---

(١) المقتدى ٤٢ .

(٢) رسالة فى التوحيد ٦ .

(٣) المقتدى ٤٢ - ٤٣ .

(٤) المقتدى ٤٢ و رسالة فى التوحيد ٦ .

(٥) المصدران السابقان .

(٦) المقتدى ٤٢ .

(٧) رسالة فى التوحيد ٦ .

المطلب الثالث
العقائد فى القرآن والسنة

كان القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة أول من بينا للمسلمين أسس العقيدة الاسلامية فى الالهيات و النبوات و السمعيات ، و سندلل على ذلك كله عند كلامنا على هذه المواضيع فلا حاجة للتكرار ، و الذى يهمنا قوله هنا هو آن نؤكد أن (القرآن و السنة) لم يكتفيا ببيان العقيدة الاسلامية وحدها بل تعدياها الى حكاية عقائد المخالفين والحمل عليها بالحجة و البرهان حينا ، و بيان الموقف الصحيح الذى يجب على المسلم ان يفقه من بعض المسائل التى لا يدركها العقل البشرى حينا آخر ، و لنورد لك امثلة على ذلك من الكتاب و السنة :

١) آما الكتاب العزيز فقد ورد فيه الرد على الدهريين بقوله : وَقِيلَ

ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾

الجاثية / ٣٤ .

٢) وورد فيه الرد على منكرى النبوات بقوله تعالى :

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

الاسراء ٩٤ - ٩٥ .

٣) وورد فيه الرد على منكرى البعث بقوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ

قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ
أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

يس

٤) وورد فيه الرد على عبدة غير الله تعالى :

فَلَمّا رَءا الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبّي فَلَمّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِني رَبّي لأكونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالّينَ* فَلَمّا رَءا الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبّي هذا أَكْبَرُ فَلَمّا أَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ إِنّي بَريءٌ مِمّا تُشْرِكونَ* إِنّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ حَنيفاً وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكينَ*

(الانعام ٧٦ - ٧٩)

٥) ومن رده على عبدة الملائكة ودعوى نبوتهم لله تعالى ، قوله :

وَقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمونَ* لا يَسْبِقونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلونَ* يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْديهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقونَ* وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنّي إِلـٰهٌ مِنْ دونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزي الظّالِمينَ*

(الأنبياء ٢٦ - ٢٩)

٦) ومن رده على عبدة الاصنام قوله تعالى :

أَلا لِلّهِ الدّينُ الْخالِصُ وَالَّذينَ اتَّخَذوا مِنْ دونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبونا إِلَى اللّهِ زُلْفى إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ في ما هُمْ فيهِ يَخْتَلِفونَ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ*

(الزمر ٣)

٧) ومن رده على النصارى فى عباداتهم للمسيح قوله تعالى :

إِنَّ مَثَلَ عيسى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكونُ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرينَ* فَمَنْ حاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَى الْكاذِبينَ* إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَما مِنْ إِلـٰهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّهَ عَليمٌ بِالْمُفْسِدينَ*

(آل عمران ٥٩ - ٦٣)

٥) ورد فيه الرد على ادعاء اليهود انهم اصفياء الله من دون الناس فى قوله تعالى :

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ (١)

(الجمعة ٦ - ٧)

و أما السنة النبوية فقد ورد فيها :

١) ما حكاه ابن هشام ان جماعة من اليهود اتوا الرسول ﷺ و سألوه : هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ فغضب الرسول ﷺ حتى امتقع لونه ثم نزل :(٢) (قل هو الله احد ، الله الصمد . لم يلد و لم يولد ، ولم يكن له كفوا احد) سورة الاخلاص .

٢) و انه ﷺ لما تلا قول الله تعالى :

(إنكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، أنتم لها واردون) الانبياء / ٩٨ ، سأله فريق من المشركين أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده ، كيف ذلك فنحن نعبد الملائكة و اليهود تعبد عزيزا ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم : فاجاب الرسول ﷺ : (كل من احب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده) . و نزل قوله تعالى : (إنكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، أنتم لها(٣) واردون) .

٣) وقال ابن مسعود إنى لمع رسول الله ﷺ فى حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب فمر بنا ناس من اليهود فقالوا سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون فاتاه نفر منهم فقالوا : يا ابا القاسم ما تقول فى الروح ؟ فسكت ثم قام فامسك بيده على جبهته فعرفت انه ينزل عليه فانزل الله عليه :(٤) (و يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى و ما أوتيتم من العلم الا قليلا) الاسراء / ٥٨ .

(١) انظر اصول الدين الاسلامى ٢٦ ـ ٢٧ ، العقيدة الاسلامية والاخلاق ١٥ - ١٩ .

(٢) اصول الدين الاسلامى ٢٩ . عن السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٠٢ و انظر لباب النقول ٢ / ٢٢٦ - ٢٢٧ وفيه أن اليهود سألوه ﷺ فنزلت السورة .

(٣) اصول الدين الاسلامى ٢٩ .

(٤) انظر : اصول الدين الاسلامى ٣٠ ، لباب النقول ١ / ٢٤٦ - ٢٤٧ .

المطلب الرابع
اصول الدين الاسلامى

قال بعض العلماء : أصول الدين الاسلامى من حيث الاعتقاد ثلاثة :

١) الالهيات ، و يبحث فيها عما يجب لله تعالى من صفات الكمال و ما يستحيل عليه من صفات النقص و ما يجوز فى حقه تعالى .

٢) النبوات ، و يبحث فيها عن الواجب للانبياء الذى يصطفيهم الله تعالى لتبليغ دعوته وما يستحيل عليهم وما يجوز .

٣) السمعيات ، ويبحث فيها عن الامور التى اخبر بها الانبياء ولم تصل العقول الى معرفتها و حدتها بل ثبت باخبار الصادقين من الانبياء والمرسلين كوجود العرش و الملائكة والجن والنار والجنة .[١]

وقال بعض العلماء : انها اصول الدين التى اجمع عليها المسلمون .[٢] وسماها الامام الغزالى : (اركان الايمان)[٣] وكذلك فعل غير هؤلاء من العلماء .[٤] و ذلك لما ورد عنه ﷺ انه قال : الايمان ان تؤمن بالله و ملائكته وكتبه و رسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره و شره .[٥]

وقال ﷺ فى حديث آخر : الايمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و تؤمن بالجنة و النار والميزان و تؤمن بالبعث بعد الموت و تؤمن بالقدر خيره و شره .[٦]

هذا وكل ما ورد من تفصيلات لحقيقة الايمان فى هذه الاحاديث الصحيحة يرجع الى احد الاصول الثلاثة التى ذكرها العلماء اول هذا البحث ، لان الايمان بالملائكة و

(١) اصول الدين الاسلامى ٥٥ ، العقيدة الاسلامية والاخلاق ٤٢ و انظر ان شئت المزيد - اثر التطور الفكرى على التفسير ٢٥٤ وما بعدها .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) الاحياء ١ / ١٠٥ . وفيه ما نصه : و علموا ان بناء الايمان على هذه الاركان أ . هـ ، وتكلم بما يشملها ، وفى الاقتصاد فى الاعتماد ١٤١ وما بعدها ذكر الامام الغزالى اصول الدين التى يكفر المرء بانكارها وذكر منها هذه الاصول فى اثناء كلامه .

(٤) اصول الدين الاسلامى ٤٦ اصول الدين للبغدادى ٢٤٧ وما بعدها .

(٥) الجامع الصغير ١ / ٢١٢ . وفيه رواه مسلم و ابو داود والترمذى النسائى عن عمر وهو صحيح .

(٦) الجامع الصغير وفيه البيهقى فى شعب الايمان وهو حديث صحيح .

اليوم الآخر و مشاهد القيامة يرجع الى السمعيات . والايمان بالرسل و الكتب المنزلة يرجع الى النبوات ، والايمان بالقدر يرجع الى الالهيات ، ولذلك آثرنا هذا التقسيم .

و سنتكلم عن القسم الاول (**الالهيات**) وفى هذا الكتاب و عن القسمين الاخرين: (النبوات و السمعيات) فى كتابين آخرين للصفين الخامس والسادس الاعدادى ان شاء الله تعالى .

المبحث الثانى
الحكم العقلى و اقسامه

لما كان المكلف مطلوبا بمعرفة ما يجب فى حق الله تعالى وما يجوز وما يستحيل ، وكذلك فى أنبيائه (عليهم الصلاة والسلام) ولا يحكم على شئ بأنه واجب أو جائز أو مستحيل حتى يعرف حقيقة ذلك[1] كان لابد من بيان الحكم و أقسامه وذلك فيما يأتى :

أ) الحكم و اقسامه :

الحكم هو اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه .

و أقسامه ثلاثة :

أ- الحكم العادى ، اثبات أمر لأمر او نفيه عنه استنادا الى العادة والتجربة والتكرار .

ب- الحكم الشرعى ، هو اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه استنادا الى وضع الشرع .

ج- الحكم العقلى ، هو اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تجربة أو تكرار أو وضع واضع .[2]

٢) اقسام الحكم العقلى :

ان جميع الامور التى نعلمها او التى يمكن ان يتعلق بها علمنا تنقسم من حيث

---

(١) أم البراهين ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ عبدالسلام على الجوهرة ٣٥ .

(٢) أم البراهين ٣٠ - ٣٦ . رسالة فى التوحيد ١٩ .

النظر فى وجودها الى ثلاثة أقسام :

أ- الواجب لذاته :[1]

هو ما لا يتصور فى العقل عدمه[2] او يقال : هو ماكان عدمه لذاته من حيث هى - اى ما تقتضى ذاته العدم دائما حيث بحيث لا يقبل العدم اصلا و ذلك اذا نظرنا اليها دون اعتبار أمر خارجى عنها .[3]

ب- المستحيل لذاته :

هو ما لا يتصور فى العقل وجوده[4] أو يقال : هو ما كان عدمه لذاته من حيث هى - أى ما تقتضى ذاته العدم دائما بحيث لا تقبل الثبوت اصلا [5] و ذلك اذا نظرنا اليها دون اعتبار امر خارجى عنها .[6]

ج- الجائز :

ويسمى (الممكن لذاته) وهو ما يصح فى العقل وجوده و عدمه[7] او يقال هو ما لا وجود له و لا عدم لذاته من حيث هى ، اى دون اعتبار امر خارجى .[8]

المبحث الثالث
معرفة الله تعالى و صفاته

قبل الكلام فى ذلك لا بد ان نشير الى ان بعض العلماء قد قسم الصفات الالهية

---

(١) الواجب لذاته يمتاز بثلاثة امور :
أولها كون ذاته تقتضى الوجود وماكان من مقتضى الذات فلا يتخلف عنها البتة ثانيها استغناء ذاته غن الغير ثالثها ، وجوده الخاص ، وهو عين ذاته بدون احتياج الى شئ آخر فذات الواجب ممتازة وحدها عن جميع ما عداها ، انظر الباجورى على السنوسية ١٠ و رسالة فى التوحيد ١٩ .

(٢) أم البراهين ٣٨ عبدالسلام على الجوهرة ٣٣ .

(٣) العقيدة الاسلامية ٢٢ .

(٤) ام البراهين ، عبدالسلام الجوهرة ٣٤ .

(٥) الحقيقة انه لا ذات للمستحيل لان لا وجود له ، ولكن العلماء يعبرون بذلك على سبيل الفرض و التقدير حتى يتوصلوا بذلك الى الحكم عليه بالاستحالة .

(٦) العقيدة الاسلامية ٢١ .

(٧) ام البراهين ٤١ عبدالسلام على الجوهرة ٣٤ .

(٨) العقيدة الاسلامية ٢٢ .

الى صفات نفسية و صفات سلبية و صفات معان ، و اختلفوا فى عدد هذه الصفات تارة و فى مفهوم هذه الصفات تارة اخرى ، وهل إن الصفات هى عين الذات أم هى غيرها ؟ بل لا عينها و لا غيرها ، وغير هذا من المسائل الفلسفية التى أطنب فيها علماء الكلام .[1]

والذى نختاره فى (**مسألة الصفات الالهية**) هو ما ذهب اليه الصحابة الكرام و السلف الصالح فيها ، وهو انهم آمنوا بما جاء فى القرآن الكريم مما يدعو الى الايمان بان الله واحد لا شريك له فى الذات و العقل فى خلق الاكوان وما يصفه تعالى بصفات كثيرة ، كالحياة و القدرة و الارادة و السمع والبصر .

ولم يرد قط فى طريق صحيح و لا سقيم عن احد من الصحابة -رضى الله عنهم- على اختلاف طبقاتهم و كثرة عددهم انه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شئ مما وصف رب سبحانه به نفسه الكريمة فى القرآن وعلى لسان نبيه محمد ﷺ . بل كلهم فهموا معنى ذلك و سكتوا عن الكلام فى الصفات -نعم- ولا فرق احد منهم بين صفة ذات و صفة فعل و انما اثبتوا له تعالى صفات ازلية من العلم و القدرة والحياة و الارادة و السمع و البصر و الكلام و الجلال والاكرام و الجود و الانعام و العزة و العظمة ، و ساقوا الكلام فى هذه الصفات سوقا واحدا كما يقول المقريزى .

وهكذا اثبتوا -رضى الله عنهم- ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين ، فأثبتوا الصفات بلا تشبيه و نزهوا الله تعالى من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم الى تأويل شئ من هذا و رأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ، ولم يكن عند احد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى سوى كتاب الله و لا عرف احد منهم من الطرق الكلامية ولامسائل الفلسفة شيئا ومضى عصر الصحابة الكرام -رضى الله عنه- على هذا النحو.[2]

وهذا ما نعتقده فى هذه المسألة ، ولا يمنعنا ذلك من التطرق الى بعض الادلة العقلية فى هذه المسائل بقدر الضرورةو الحاجة . وبعد :

---

(١) انظر علم الكلام ٩٨ - ١٢٥ ، دراسات فى الفروق ٢١١ وما بعدها ، اصول الدين الاسلامى ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) انظر : مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٣٠ و ٨٥ . على الكلام ١٠٠ - ١٠١ ، علوم القرآن ٩٠ - ٩١ .

فانه يجب على كل مكلف شرعا من ذكر او انثى ان يعرف ما يجب له تعالى و ما يستحيل و ما يجوز [1] اما اجمالا و اما تفصيلا .

فالاجمالى ان يعتقد الانسان اعتقادا جازما انه يجب لله تعالى كل صفة كمال تليق بشأنه و يستحيل عليه كل نقص .[2]

والتفصيلى ان يعتقد اعتقادا جازما بالدليل العقلى او النقلى أن لله تعالى صفات يستحيل عليه ضدها [3] و بيان أهم هذه الصفات فى المطالب الآتية :

احدهما ، موقع الانسان - والحيوان و النبات والجماد والامطار و الانهار والبحار .و بالجملة الارض وبالماء و الغاز و الهواء كلها موافقة لوجود الانسان ، وكذلك اعضاء الانسان و اعضاء الحيوان و سائرما يحيط بالانسان .

ثانيهما ، ان هذه الموافقة هى ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد اذ ليس يمكن ان تكون هذه الموافقة بالاتفاق .

٢) ان دليل الاختراع مبنى على اصلين ايضا :

احدهما : هذه الموجودات من حيوان و نبات و سماوات مخترعة لأنا نراها أجساما جمادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعا ان لها موجدا و مخترعا ، وهو الله تعالى ، وكذلك السماوات نعلم من حركتها التى لا تفتر انها مأمورة بالعناية بالانسان ، مسخرة له ، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة .

ثانيهما : ان كل مخترع له مخترع .

فيصبح من هذين الاصلين ان للوجود فاعلا مخترعا كما يقول ابن الرشد . ويقول ابن رشد - بناء على ذلك - ان الايات التى فى الكتاب العزيز من هذا القبيل اذا تصفحت وجدت على ثلاثة انواع :

أ- إما ايات تتضمن التنبيه على دلالة العناية فقط كقوله تعالى :

(ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا) النبأ / ٦ .

---

(١) أم البراهين ٤٥ - ٤٦ .

(٢) أم البراهين ٥٦ و فيه الدليل الجملى ٤١ رسالة فى التوحيد ٢٤ .

(٣) دراسات فى الفروق ٢١١ ، أم البراهين ٤٢ و ٦٢ تحفه الاعالى وضوء المعالى ١٣ - ١٤ رسالة فى التوحيد ٣٤ .

ب- و أما آيات تتضمن دلالة الاختراع فقط كقوله تعالى : (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق) الطارق / ٥ - ٦ . وقوله تعالى : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) الغاشية / ١٧ . و قوله تعالى : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا و لواجتمعوا له) الحج / ٧٣ . ومن هذا قوله تعالى حكاية على لسان ابراهيم عليه السلام : (وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا مسلما ...) الانعام / ٧٩ .

ج- و إما آيات تجمع بين الدلالتين ، وهى كثيرة ايضا ، بل هى الاكثر ، وذلك كقوله تعالى :

يا أيُّها النّاسُ اعبُدوا ربَّكُمُ الّذي خَلَقَكُمْ وَالّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ* الّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِراشاً وَالسَّماءَ بِناءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلوا لِلّهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمونَ*

(البقرة ٢١ - ٢٢) .

فقوله تعالى : (الذى خلقكم و الذين من قبلكم) البقرة / ٢١ فيه تنمية على دلالة الاختراع و قوله تعالى : (الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات و الارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) ال عمران / ١٩١ . ثم اكد ابن رشد فى خاتمة هذا الرأى : **انه الصراط المستقيم فى معرفة الله تعالى ، وانه الذى يجب ان يسلك من بين البراهين فى الدلالة على الله سبحانه وتعالى[١] وانه الذى يجب الاعتماد عليه دون غيره من الادلة .[٢]**

رابعا : الادلة العلمية على وجود الله تعالى :

ان فروع العلم كافة تثبت أن هناك نظاما معجزا يسود هذا الكون اساسه القوانين والسنن الكونية التى لا تتغير ولا تتبدل و التى يعمل العلماء جاهدين على

(١) انظر دراسات فى الفرق ١٦٥ - ١٦٩ عن مناهج الادلة لابن رشد ١٣٧ قصة الايمان ٢١ / ٢٨١ اصول الدين الاسلامى ٧١ - ٧٣ .

(٢) دراسات فى الفرق ١٦٥ .

كشفها و الاحاطة بها ، وقد وقف العلماء فى العصر الحديث فعلاً -و بفضل كثير من المخترعات المتجددة- على بعض الاسرار الانسان و الكون بصورة دقيقة حتى امكنهم معرفة وقت الكسوف والخسوف وغيرها قبل وقوعها بمئات السنين .

واليك طرفا من هذه الشواهد الدالة على وحدانية الخالق المبدع فى الارض و السموات و الانسان بصورة موجزة :

أ- من أيات الله فى الارض :

بعد دراسة العلماء للسيارات الكبار : (عطارد و الزهرة و المريخ و المشترى و زحل و اورانوس و نبتون و بلوتو) تبين لهم انها لا تصلح لحياة الانسان ، إما لقلة الجاذبية ، و إما لعدم وجود الماء والهواء ، و إما لميوعة السطح ، و إما لقصر اليل و النهار ، وما لغير ذلك ، و تبين ايضا ان منها ما هو اقرب للشمس من ارضنا و منها ما هو ابعد ، ومنها ما هو اكبر من ارضنا و منها ما هو اصغر . ومنها ما هو اسرع من ارضنا دورانا حول الشمس و منها ما هو ابطأ .

اما الارض ، فحجمها اصغر من الشمس بمليون و (٣٠٠) الف مرة ، ووزنها اقل من الشمس ب (٣٣٢) الف مرة تقريبا ، و انها اكثف السيارات جميعا بل اكثف من الشمس لان كثافة الشمس هى ربع كثافة الارض . فالثقل النوعى لكل جسم فى الشمس اخف من الثقل النوعى للجسم نفسه و هو فى الارض ، و ان بعدها عن الشمس (٩٣) مليون ميل ، وان دورة الارض حول الشمس تتم فى مدة (٣٦٥) يوما ونحو ربع يوم ، وان شكل مدارها حول الشمس اهليليجى ، وان سرعة دورانها حول نفسها (١٠٠٠) ميل فى الساعة ، وان سرعة دورانها حول الشمس بمعدل (١٨) ميل فى الثانية اى نحو (٦٥) الف ميل فى الساعة ، وان وضعها على مدارها مائل بزاوية قدرها (٢٣) درجة .

ولذلك فقر بها من الشمس معتدل ، والحرارة التى تصل اليها معتدلة . و كثافتها تفوق كثافة كل السيارات حتى الشمس . و جاذبيتها ، و دورتها اليومية معتدلة و

---

(١) انظر : الله يتجلى فى عصر العلم ٣ ، اصول الدين الاسلامى ٧٤ و ٨٠ .

كافية لاحداث نهار و ليل معتدلين صالحين للسعى و الراحة ، و دورتها السنوية معقولة و كافية لاحداث فصول متعدلة صالحة لارواء الزروع و انضاجها و هى تمتاز بالماء والهواء الصالحين للحياة فهذه اهم مزايا وهى سبعة . و يقول العلم : لو كان حجم الارض اكبر مما هو او اصغر ، او كان ثقلها و كثافتها اقل او اكثر ، لاختل امر الحياة او تغير او تشوه لان حجمها متناسب مع سرعتها ومع دورتها و ثقلها متناسب مع قوة جذبها فلو زاد الحجم او نقص لتغيرت السرعة والمدة ولو قل جذبها لافلت الاوكسجين منها ، ولو لا الدورة اليومية كان لنا ليل و نهار دائبان ثابتان .

ولو زادت سرعة دورانها حول نفسا عن الف ميل فى الساعة او قلت كما هو الحال فى بقية السيارت فكانت مثلا (١٠٠) ميل فى الساعة لاصبح طول النهار (١٢٠) ساعة واحترقت زروعنا فى لهيب النار و ذوت فى زمهرير الليل و لاختل ميزان العمل فى النهار والراحة والنوم فى الليل و لكن هذه السرعة ثابتة لم يطرأ عليها تبديل منذ زمن بعيد .

ولولا الجاذبية التى تربطنا بالارض لطرنا عن ظهرها و انتشرنا انتشارا نحن و بيوتنا ، ولولا التعادل العجيب بين الجاذبية التى تلصقنا بالارض و قوة (البعد عن المركز) التى تطردنا من سطحها لطرنا و طارت بيوتنا وزحفت بحارنا من وسط الارض الى القطبين .

و يقول العلم ايضا ان سرعة الارض فى دورتها حول الشمس هى (١٨) ميلا فى الثانية فلو زادت او نقصت ثانية واحدة فى كل سنة بل فى كل مائة سنة لزادت او نقصت (الدورة السنوية) فتطول او تقصر كثيرا فيختل نظام الفصول الاربعة باختلال مددها المحكمة و يختل نظام المطر العجيب .

ولو ان شكل الفلك الذى تدور فيه الارض حول الشمس لم يكن (اهليلجيا) الختل نظام الفصول الاربعة كذلك .

ولو ان الارض لم تكن (حنواء) اى لو ان وضع الارض على مدارها غير مائل بزاوية قدرها (٢٣) درجة لاختل نظام الفصول الاربعة المتنقلة على الارض و لأصبح

وسط الارض صحراء تحترق فى صيف دائم شمالها و جنوبها مدفونين تحت ركام من الثلج .

ولو ان درجة هذا الميل زادت عما هى عليه لاصبحت المنطقتان المعتدلتان (كالقطبين) إما فى ليل طويل و شتاء طويل ، و إما فى نهار طويل و صيف طويل . فهذه الدرجة فى الميل هى الدرجة اللازمة لهذا التنظيم العجيب .

و باجتماع هذه الاسباب كلها من السرعة الى المسافة ، الى المدة ، الى شكل الارض و شكل المدار ، الى الميل ، الى غير ذلك ، تحصل الفصول الاربعة و يتم الاعتدالان و يحصل التبخر فى مياه الارض و تحمل الرياح الا بخرة على متن الغبار الذى تثيره ثم تسوقها الى الاجواء الباردة ليتم تكاثفها وتتكون حبات المطر . و يجلجل الرعد و يومض البرق و تسقط الامطار التى تحيى الارض بعدموتها .

و بعد هذا كله هل يمكن ان يقال ان اجتماع كل هذه الاسباب للحياة على الارض ، الصنع العظيم و الاتقان العجيب و الاتزان الدقيق أثر من آثار المصادفة العمياء ؟[1]

ب- من آيات الله فى السماء :

لا نريد ان نحدثك عن (عدد النجوم) ولا (احجامها) ولا (مواقعها) التى كانت موضع القسم الالهى العظيم فى قوله تعالى : (فلا اقسم بمواقع النجوم و إنه لقسم لو تعلمون عظيم) الواقعة / ٧٥ - ٧٦ .

ولا نريد ان نحدثك عن القوانين الدقيقة التى اكتشفها العلماء فى تناسب النجوم ومواقعها و ابعادها ، لان البحث فيها يطول ،[2] وانما نقصر كلامنا فى امرين :

احدهما : سعة السماء :

انت تعلم ان الضوء يقطع فى الثانية (١٨٦) الف ميل اى انه يقطع فى الدقيقة الواحدة (١١) مليونا و (١٦٠) الف ميل و فى السنة والواحدة يقطع (ستة ملايين مليون ميل) ، اى ستة الآف مليار ميل تقريبا . وهذه المسافة هى التى اصطلحوا

---

(١) قصة الايمان ٣١٥ / ٣٢٣ (بتصرف)، وانظر ان شئت المزيد عن معجزة حصول عملية المطر ص ٣٣ / ٣٣٩ و معجزة الهواء الذى لا حياة بدونه ص ٣٤٣ / ٣٤٦ .

(٢) انظر قصة الايمان ان شئت ذلك ٣٠٥ / ٣٠٩ ، اصول الدين الاسلامى ٧٤ / ٧٦ .

على تسميتها بـ (السنة الضوئية) ليعبروا بها عن ابعاد السماء الهائلة .

وعلى هذا الاساس يصل نور القمر الى الارض فى اقل من ثانيتين لان بعده عن الارض (١٤٠) الف ميل تقريبا ، يصل نور الشمس فى نحو (٨) دقائق لان بعدها عن الارض (٩٣) مليون ميل تقريبا .

و اقرب نجم الى الارض يبعد عنها (٤ سنوات ضوئية) تقريبا و معنى ذلك انه يبعد عنها (٢٣) مليون مليون ميل تقريبا . ووراء ذلك (النسر الطائر) الذى يبعد عنا (١٤) سنة ضوئية و (النسر الواقع) الذى يبعد عنا (٣٠) سنة ضوئية و (السماك الرامح) الذى يبعد عنا (٥٠) سنة ضوئية ، ووراء ذلك نجوم تبعد عنا (١٠٠٠) سنة ضوئية .

وراء مجرتنا سدم منها سديم (المرآة المسلسة) الذى يبعد عنا (مليون سنة ضوئية) ووراءه من السدم ما هو ابعد فى تقدير العلماء .[١]

ثم ان هذا الفضاء يتمدد بشكل مدهش قدره بعض العلماء بنحو (١٠٥) اميال فى الثانية الواحدة لكل بعد قدرة (مليون سنة ضوئية) .[٢]

فهل ادركت بعد هذا عظمة الخالق العظيم و هل تنبهت الى اعجاز القرآن فى قوله تعالى : (والسماء بنيناها بأيد و إنا لموسعون) الذاريات / ٧ . فى وقت لم تعرف البشرية ولم يخطر على بالها هذا الاتساع العجيب . ؟

ثانيهما : القمر:

عرف العلماء ان القمر جرم غير منير بذاته و لكن يستمد نوره بالانعكاس من الشمس المضيئة بذاتها ليعكسه بدوره الى الارض ، وعرفوا انه تابع لها يسايرها و يدور معها و مثلها من الغرب الى الشرق ، وان له دورتين حول نفسه وحول الارض معا فى الشهر القمرى الواحد وانه يتجه بوجه واحد نحو الارض لا يغيره ابدا .

وعرفوا كذلك انه فى دورته الشهرية هذه يقطع كل يوم (١٣) درجة و يتأخر كل يوم (٤٩) دقيقة نحو الشرق ليكشف لنا عن جانبه المنير كشفا متدرجا يبدأ به هلالا

(١) قصة الايمان ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(١) اصول الدين الاسلامى ٧٥ عن التفسير العلمى للآيات الكونية ٥٦ / ٦٩ .

ثم بدرا ثم يرجع كالعرجون القديم حتى يخفى و يطلع بعد (٢٩) يوما (٨) ساعات هلالا جديدا .

وعرفوا ايضا ان القمر اقرب اجرام السماء الى الارض فلا يبعد عنها سوى (٢٤٠) الف ميل تقريبا ، وان كتلته هى جزء من (٨٠) جزءا من كتلة الارض .

وعرفوا ان للكواكب الاخرى اقمارا منها الصغير الذى لا يزيد قطره على بضعة اميال و منها الكبير الذى يبلغ قطره (٣٢٠٠) ميل و منها السريع الذى يتم دورته فى سنتين .

و عرفوا انه ما من قمر يتم دورته فى شهر واحد الا قمر هذه الارض التى جعل الله سنتها بفصولها الاربعة اثنى عشر شهرا و بعد ان عرفوا ذلك ادركوا ما يلى :

لو لم يكن القمر يدور حول نفسه و حول الارض فى آن واحد ولو لم يكن يقطع فى دورته فى كل يوم (١٣) درجة و يتأخر نحو (٤٩) دقيقة لما كان يتنقل فى منازله المختلفة لنرى وجوهه المتغيرة و لما كان يتم الدورة فى شهر واحد ليستأنف شهرا جديدا نعرف به عدد الشهور و السنين والحساب .

ولو كانت المسافة بين القمر و الارض اقل مما هى او اكثر او كان حجمه اكبر مما هو او اصغر او كانت دورته اطول او اقصر لاختل هذا النظام كله . بل لربما زال القمر كله . لانه لو قرب من الارض لزاد جذبه فاصبح المد على الارض طاغيا يغمر اليابسة كلها و ان تزايد هذا القرب جذبته الارض فوقع عليها ، لو بعد عن الارض لتعطل عمل المد و الجزر بقلة الجذب ، ان زاد البعد جذب القمر كوكبا آخر اليه و حرمنا من نعمه ، ولو كبر حجمه لزادت قوة جذبه و لو صغرت لقلت ، ولو كانت دورته مثل دورة بقية التوابع ، الاقمار قصيرة فى ساعات أو طويلة فى سنتين لاختل هذا النظام الذى جعل الله لنا به القمر حسبانا و عاد شهرنا القمرى اسبوعا او سنتين . هذا بعض ما أدركه العلماء بالنسبة للقمر و علاقته بالارض ومن عليها ، فهل كل هذا الاحكام الذى خص به القمر فى حركاته المحسوبة ومنازله المقدرة اثر من آثار المصادفة العمياء [1] كلا ان ذلك من

---

(١) انظر قصة الايمان ٣٢٧/٣٢٩ .

آيات الله : (ومن آياته الليل و النهار و الشمس و القمر ، لا تسجدوا للشمس و لا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن) فصلت / ٣٧ . (وهو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نورا و قدره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحق ، يفصل الايات لقوم يعلمون) يونس / ٥ .

٣) من آيات الله فى الانسان :

ان تركيب الانسان بجوانبه المتعددة يجعل المتأمل حتى بشكل بسيط يخشع و يأخذه العجب كل العجب لهذا التركيب الفريد ، اللغز المحير المدهش .

و سنكتفى فى هذا المجال الذى ألفت فيه المصنفات الكثيرة ببعض اللمحات التى اشار اليها الاطباء لا سيما الاعداد الهائلة التى تتكون منها بعض اعضاء الانسان :

أ- فيقول الاطباء ان الانسان يتركب بنسب متفاوتة من الاوكسجين والفحم و الهيدروجين و الآزوت و الكلس و الفسفور والكبريت و الصودا و الكلور و الكلوروفل المانيزا .[١]

بعبارة اخرى ليس الانسان سوى وعاء صغير من الماء مع عناصر معدنية اخرى تستطيع ان تكون منها مسمارا صغيرا من الحديد ، ورأس عود من الكبريت ، وكمية من الكلس ، تعين على دهن الجدار من مادة الكلس التى تستعمل لتبييض الجدران و عناصر اخرى بحيث انها لا تبلغ فى القيمة نصف دينار و السر لا يكمن فى نوعية المواد و انما يكمن فى كيفية تركيب هذه المواد بعضها الى بعض وهذا المثل ينطبق على ابسط ذرات الخلية كما ينطبق على اعقد التركيبات الحيوية التى تتولد من الجسم .[٢]

ب- و يقولون ايضا : ان فى جسم الانسان (الف مليون مليون) خلية[٣] ، منها ما بين (١٢ - ١٤) مليار خلية عصبية وفى المخ وحده (٩) مليارات تتوزع فى (٦٤) منطقة من مناطق الدماغ[٤] وهذه الخلايا تشكل

---

(١) الطب محراب للايمان ٤٧ .

(٢) الطب محراب للايمان ٥٩ اصول الدين الاسلامى ٧٨ .

(٣) اصول الدين الاسلامى ٧٩ . الطب محراب للايمان ٤٠ و ٤٢ و ٤٣ و ٩٦ و ١١٨ .

(٤) قصة الايمان ٤٢٩ .

مجموعة الاجهزة فى الانسان مثل جهاز التنفس و الهضم و الجهاز البولى ، والتناسلى ، واللنفاوى و الدموى ، اللفظى والصقلى و العظمى والعصبى والجلدى بالاضافة الى الحواس : كالسمع و البصر و غيرهما الواحد بنقسم الى اعضاء وهذه الاعضاء تشكل الكائن الانسانى بعد تعاونها تعاونا وثيقا .[١]

ج- يقولون : إن الجسم يستهلك من خلاياه حوالى (١٢٥) مليون خلية فى الثانية الواحدة اى بمعدل (٧٥٠٠٠) مليون خلية فى الدقيقة الواحدة والوسط الداخلى الدموى للانسان يستهلك من الكريات الحمر فى كل ثانية حوالى (مليونى) كرية حمراء اى انه يستهلك فى الساعة الواحدة اكثر من عدد سكان العالم بحوالى مرتين ، لان نفوس العالم اليوم أربعة الآف مليون نسمة علما بأن مجموع الكريات الحمر فى دم الانسان الواحد يبلغ (٢٥) مليون مليون كرية .[٢]

د- و يقولون ان مجموع الاعضاء المستقبلة للنور فى العينين يبلغ حوالى (٣٠٠) مليون عنصر مستقبل للضوء و تنتقل الصور فى العينين عبر مليون جهاز تلفاز ملون[٣] و أن كرة العين أعجب بلورة فى الوجود حتى سماها العلماء بالبلورة الحركية العاقلة .[٤]

هـ - و يقولون : ان الانابيب التى يمر فيها الدم تبلغ من الكثافة و الانتشار حدا لا يكاد يصدق حيث يبلغ طولها اكثر من (مأة الف ميل) وهى تتغلغل بين جميع انسجة الجسم حتى العظم الكثيف و تروى جميع المناطق التى تصل اليها .[٥]

و- ويقولون : انه يوجد تحت جلد الشخص العادى (ثلاثة ملايين) غدة عرقية تتوزع فى أماكن اكثر من غيرها فهى تحت الابط وحول الثدى اكثر ، وفى الوجه واليد اقل و هى تفرز العرق من الجسم .[٦]

ز- ويقولون : يقدر فى الجسم حوالى (٣ الى ٤) ملايين جهاز للألم ونصف

---

(١) الطب محراب للايمان ٤٢ - ٤٣ .

(٢) الطب محراب للايمان ٤٢ .

(٣) الطب محراب للايمان ١١٧ و ١٦١ و ١٧٠ و ٢٢٤ .

(٤) الطب محراب للايمان ٢٠٦ .

(٥) الطب محراب للايمان ١٥١ .

(٦) الطب محراب للايمان ١٥٥ .

مليون جهاز حساس للمس او الضغط واكثر من (٢٠٠٠٠٠) جهاز حساس للحرارة وهكذا تجتمع اخبار الاحساسات بشكل هائل و تصعد عبر النخاع .[١]

ح- ويقولون : ان القلب ينبض بمعدل (٧٠) ضربة فى الدقيقة الواحدة ومعدل (١٠٠) الف مرة يوميا ، و (٤٠) مليون مرة سنويا وما يزيد عن (٢٠٠٠) مليون مرة فى متوسط العمر .[٢]

ط- ويقولون : ان الانسان العادى يختزن كل يوم من الصور المرئية فقط (نصف مليون) صورة فى مستودعات الذاكرة ، اى ما يقرب من (١٠) مليارات صورة فى متوسط حياة الانسان ، اضف الى ذلك المسموعات و الاشياء التى تشم و تذاق و تلمس و تحس .[٣]

ى- اما كيف يتم تنظيم الحرارة والبرودة فى الجسم بحيث يكون الانسان فى ربيع دائم [٤] وكيف ينطق وكيف يسمع و كيف يبصر و كيف يفكر وغير ذلك فتلك اعاجيب بلا شك ، ولعل اعجبها كلها ما ذكروه من ان جميع اجهزة الانسان و اعضائه و انسجته (عدا الدماغ تتغير كل سبع سنوات مرة واحدة و رغم ذلك يحافظ الانسان على لون جلده و عينيه و تقاطيع وجهه و طوله و مزاجه و هيئته وهو لم يتغير .[٥]

فهل كل هذه الاعداد الضخمة الهائلة فى مختلف نواحى الجسم الانسانى وما فيها من عظمة الاحكام والبناء و روعة التناسق و التعاون فيما بينها فى العمل المنظم ،وغير ذلك مما لم يكشف فى الانسان، يصح ان يكون اثرا من آثار الصدفة العمياء ؟!

كلا : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) فصلت / ٥٣ . (وفى الارض آيات للموقنين ، وفى انفسكم

---

(١) انظر الطب محراب للايمان ١٠٩ - ١١٠ ، علوم القرآن ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) الطب محراب للايمان ١٤١ / ١٤٢ ، و قصة الايمان ٤٠٩ / ٤٢٠ .

(٣) الطب محراب للايمان ١٧٨ .

(٤) الطب محراب للايمان ١٥٦ .

(٥) الطب محراب للايمان ١٢٥ .

أفلا تبصرون) الذاريات ٢٠ - ٢١ .

خامسا : ابطال المصادفة :

كل ما فى الكون ابتداء من بناء الذرة حتى اعقد اشكال الحياة يشير الى التصميم والقصد فى بناء الكون والحياة ، ولكن مع هذا فهناك شبهة تدور فى ذهن البعض وهى رد كل شئ الى (الصدفة) لكن العلماء يقولون ان فكرة المصادفة او الاحتمالات لها قانون قائم بذاته يدرسه طلاب الجامعات وله بحث قائم بذاته فليس هناك مجال لخبط عشواء .[١]

و قالوا ايضا : انه اذا امكن تطبيق قانون المصادفة والاحتمال على تركيب مادة او ترتيبها بكيفية معنية فانه لا يمكن تطبيقه على انبثاق الحياة فى الخلية . لان هذه الظاهرة محيرة و مدهشة الى حد يجعل هذا القانون غير سارى المفعول فى هذا المجال بل انه مبتورة و مشوه من الاساس .[٢] ولكى نفهم قانون المصادفة وعدم سريانه وامكانه لا بد ان نذكر لك ما يأتى :

أ- يقول العلماء : ضع عشر قطع نقدية مرقمة من (١ الى ١٠) فى كيس و ابدأ بسحبها ترى ان فرصة سحب رقم (١) هى بنسبة ١ الى عشرة لان كل رقم قد يكون له الحظ فى السحب و فرصة سحب رقم ١ و ٢ متتابعين هى بنسبة ١ الى ١٠٠ وفرصة سحب ١ و ٢ و ٣ و ٤ متتالية هى بنسبة ١ الى ١٠٠٠٠ وهكذا حتى تصبح فرصة سحب الارقام من ١ الى ١٠ متوالية هى بنسبة ١ الى ١٠ مليارات .[٣]

ب- ويقول العلماء : لو فرضنا انك تملك مطبعة فيها (نصف مليون) حرف مفرقة فى صناديقها ثم حصلت هزة ارضية قلبت الصناديق و خلطتها فهل تصدق انه ينشأ من هذا الاختلاط عشر كلمات غير مترابطة المعانى ؟ انك لا تصدق ذلك ! فكيف اذا قيل لك انه نشأ عنها عشر كلمات تؤلف جملة مفيدة بل قصيدة منظومة ذات معان قيمة بل كتابا مرتبا على ابواب و فصول ؟[٤] انك بلا شك تعد ذلك من

---

(١) الطب محراب للايمان / ١٣.

(٢) انظر الطب محراب للايمان ١٣ - ١٤ ، اصول الدين الاسلامى ٨٣ .

(٣) انظر الطب محراب للايمان ١٥ - ١٦ ، قصة الايمان ٢٩٣ - ٢٩٤ ، اصول الدين الاسلامى ٨٣ .

(٤) انظر الطب محراب للايمان ١٧ ، قصة الايمان ٢٩٥ - ٢٩٦ .

ابلغ المستحيلات .

ج- يقـــولون : لو فـــــرض ان لدينا صيدليـــــة مليئة بانواع المعـــاجين و الاحماض والمـــــــراهم و الادوية المختلفة ثم حصلـــت كـــــذلك هزة ارضية فاختلـــــط كل ما فى الصيدلية فهل تصدق انه نشأ من هـــــــذا الخليط (دواء جديد) ؟ كلا . فكيف اذا قيل انه قد نشأ عنه (دواء يعالج مرضا مستعصيا) كالسرطان ؟ ان هذا كما يقول الاطباء مستحيل ، لان تكوّن الدواء يكون بنسب معينة لكى يشفى و له حساب و احتمالات فوق التصور و ابلغ فى الاستحالة ان يقال ان هذا المزيج قد نشأ عنه خلية او كائن حى نبات او حيوان. (١)

د- لو أخذنا لوحا و غرزنا فيه ابرة و وضعنا فى ثقبها ابرة ثانية اخرى ثم ثالثة ثم رابعة الى عشرة ثم الى مائة الى الف وهكذا ، ثم رأى انسان هذا المنظر و سأل كيف ادخلت الابرة الثانية فى ثقب الاولى فأخبره انسان ان الذى ادخلها رجل ماهر فذف بها من بعد عشرة امتار فاستطاع ان يدخلها ، او ان الذى القاها صبى اعمى ، فهل يصدق احد هذين القولين ؟ ربما يصدق فى الابرة الاولى و الثانية و لكنه يقطع بأن ذلك صدر عن قصد و ارادة فى الابرة الثالثة الى العشرة ، لان المصادفة بهذا التتابع و التعاقب بعيدة جدا اذا لم تكن مستحيلة اما فيما بعد العشرة وفى مجال الاعداد الكبرى فانها تصبح مستحيلة بداهة. (٢)

وبهذه الامثلة البسيطة التى ذكرناها يتبين لك ان فكرة المصادفة مستحيلة و لا يمكن تصويرها فى هذا العالم الملئ بالصور و الاشكال الدقيقة و المعقدة و المحكمة والجميلة والرائعة فى الانسان بالذات وفيما حول الانسان من حيوان و نبات و جماد. (٣)

و لنؤكد لك ذلك بأقوال مشاهير العلماء و آرائهم فى ابطال المصادفة حتى تكون على يقين تام بعدم امكانها و تصورها .

(١) الطب محراب للايمان ١٦ - ١٧ .
(٢) قصة الايمان ٢٩٢ -٢٩٣ .
(٣) الطب محراب للايمان ٢١ .

فقد قال العالم جون كليفلاند كوثران : قد اثبت اكتشاف تركيب الذرة ان التفاعلات الكيمياوية التى نشاهدها و الخواص التى نلاحظها ترجع الى وجود قوانين خاصة و ليست محض مصادفة عمياء .[١]

و يقول احد كبار علماء الطبيعة : ان العلم لا يملك اى تفسير للحقائق والقول بأنها حدثت اتفاقا انما يعتبر تحديا و تصادما مع الرياضيات .[٢]

ويقول الدكتور واين اولت : هل تم اختراع جهاز الراديو نتيجة للمصادفة ام عن طريق التصميم و الاختراع ؟ هل تم تكوين جهاز الرادار بجسم الوطواط الذى لا يحتاج من الحيوان الى انتباه و لا يتطلب منه اصلاحا والذى يستطيع ان يورثه لذريته عبر الاجيال -نقول هل تم كل ذلك- عن طريق المصادفة ام عن طريق التصميم والابداع ؟ ان الخبرة العلمية للانسان تقوم على التصميم وعلى ادراك الاسباب و على ذلك فان المشتغل بالعلوم هو اول من يجب عليه التسليم منطقيا بوجود عقل مبدع لا حدود لعلمه او قدرته يحيط مخلوقاته برعايته .[٣]

سادسا : العلم طريق الايمان :

قام العالم دينرت باحصائية عن كبار العلماء و الفلاسفة فى القرون الاربعة الاخيرة وكان عددهم (٢٨٠) عالما فوجد ما يلى :

(٢٨) منهم لم يصلوا الى عقيدة ما ، (٢٤٢) اعلنوا ايمانهم على رؤوس الاشهاد ، (٢٠) لم يكونوا يبالون بالواجهة الدينية وهذا يعنى ان (٩٢٪) اظهروا ايمانهم امام الناس ، وهذا ما يثبت الفكرة التى طرحناها لأمتنا ، وهى ان العلم والطب هما من جملة محاريب الايمان كما يقول احد الاطباء .[٤]

ويؤكد ذلك ان الطبيب المشهور باستور يقول : الايمان لا يمنع اى ارتقاء كان لان كل ترق يبين و يسجل الاتساق البادى فى مخلوقات الله ، ولو كنت علمت اكثر مما

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ٢٣ - ٢٤ . اصول الدين الاسلامى ٨٦ .

(٢) اصول الدين الاسلامى ٨٨ عن الاسلام يتحدى ٦٠ .

(٣) اصول الدين الاسلامى ٨٧ الله يتجلى فى عصر العلم ١٣٢ .

(٤) انظر الطب محراب للايمان ٢٥٦ ، اصول الدين الاسلامى ٩٤ و ٩٥ ، علوم القرآن ٢٤١ .

اعلم اليوم لكان ايمانى بالله اشد و اعمق مما هو عليه الآن .[١]

و يقول الدكتور ونز -عميد كلية الطب فى باريس و عضو اكاديمية العلوم وكيميائى- : اذ احسست فى حين من الاحيان ان عقيدتى بالله قد نزعت وجهت الى اكاديمية العلوم لتثبيتها .[٢]

وقد قال باسكال : صنفان من الناس بجوز ان نسميهم عقلاء الذين يعرفون الله و الذين يجدون فى البحث عنه لانهم لا يعرفونه .[٣]

وقال انشتاين : جوهر الشعور الدينى فى صميمه هو ان تعلم بأن ذلك الذى لا سبيل لمعرفة كنة ذاته موجود حق و يتلى بأسمى آيات الحكمة و أبهى أنوار الجمال و إننى لا استطيع ان اتصور عالما حقا لا يدرك ان المبادئ الصحيحة العالم الوجود مبنية على حكمة تجعلها مفهومة عند العقل فالعلم بلا ايمان يمشى مشية الاعرج و الايمان بلا علم يلتمس تلمس الاعمى .[٤]

وقال اسحاق نيوتن : ان هذا التفرع فى الكائنات وما فيها من ترتيب اجزائها و مقوماتها وتناسبها مع غيرها ومع الزمان والمكان لا يمكن ان يصدر الامن حكيم عليم.[٥]

وقال ادمون هربرت جيولوجى ذائع الصيت ، مدرس بجامعة السوربون : العلم لا يمكن ان يؤدى الى الكفر و لا الى المادية و لا يفضى الى التشكيك .[٦]

وقال فابر ، العلامة المؤرخ الطبيعى : كل عهد له اهواء جنونية وانى اعتبر الكفر بالله من الاهواء الجنونية وهو مرض العهد الحالى و ايسر عندى ان ينزعوا جلدى من ان ينزعوا منى العقيدة بالله .[٧]

ثم اسمع بعد ذلك اعلان العلماء من عجزهم و قصورهم عن ادراك حقيقة ابسط

---

(١) الطب محراب الايمان ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) الطب محراب للايمان ٢٥٧ ، اصول الدين الاسلامى ٨٩ .

(٣) الطب محراب الايمان ، اصول الدين الاسلامى ٨٩ .

(٤) انظر قصة الايمان ٤٢٥ ، اصول الدين الاسلامى ٩٠ و ٩٤،الطب محراب للايمان ٢٥٧ روح الدين الاسلامى ٦١ .

(٥) الطب محراب للايمان ٢٥٦ .

(٦) الطب محراب للايمان ٢٥٧ و اصول الدين الاسلامى ٩٠ .

(٧) الطب محراب للايمان ٢٥٧ .

المخلوقات :

يقول توماس اكونياس : ما من عالم عرف حتى اليوم حقيقة ذبابة .[١]

و يقول روجر باكون : انه لا يوجد عالم من علماء الطبيعة يستطيع ان يعرف كل شئ عن طبيعة ذبابة واحدة .[٢]

وكان القرآن العظيم قد سبقهم باربعة عشر قرنا حينما اعلن هذه الحقيقة قائلا :

يا أيُّها النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعوا لَهُ إنَّ الّذينَ تَدْعونَ مِنْ دونِ اللّهِ لَنْ يَخْلُقوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعوا لَهُ وَإنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَالْمَطْلوبُ* ما قَدَروا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزيزٌ*

(الحج ٧٣-٧٤) .

فهل تريد احسن من هذا التلاقى بين عقول العلماء و بين القرآن الذى يقول لنا : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر / ٢٨ .

المطلب الثانى

وحدانيته تعالى

والكلام على ذلك فى المسائل الآتية :

و إليك بيان ذلك :

١) تعريف الوحدانية :

عرفها بعض العلماء بأنها : اثبات حقيقة ذات الرب و صفاته و أفعاله و اسمائه ، ليس كمثله شئ فى ذلك كله .[٣]

وعرفها آخرون : بأنه لا نظير لله تعالى فى ذاته و لا فى صفاته ولا فى افعاله .[٤]

٢) اقسام الوحدانية :

---

(١) قصة الايمان ٤٢٤ .

(٢) قصة الايمان ٤٢٤ .

(٣) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ١٧ .

(٤) أم البراهين ٧٨ / ٨٠ . الاقتصاد فى الاعتقاد ٤٥ عبدالسلام على الجوهرة ٧٠ ضوء المعالى ٢٤ / ٢٥ .

هى ثلاثة اقسام وحدانية الذات ، ووحدانية الصفات ووحدانية الافعال .

أ- وحدانية الذات : لها معنيان :

أحدهما : عدم تركيب الذات من اجزاء .

ثانيهما : عدم تعدد الذات ، اى نفى الشريك المماثل لله تعالى .

ب- وحدانية الصفات : تشمل امرين :

أحدهما : ليس لله تعالى صفتان من جنس واحد كقدرتين و علمين .

ثانيهما - انه ليس لاحد صفة تشبه صفات الله تعالى .

ج- وحدانية الافعال : وهى عدم مشاركة غيره له فى فعل من الافعال .[1]

٣) ادلة التوحيد :

قام الدليل على وحدانيته سبحانه نقلا و عقلا .

أ- أما النقل فقوله تعالى : (و ألهكم إله واحدلا إله إلا هو الرحمن الرحيم) البقرة/١٦٣ ، وقوله تعالى : (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا) الانبياء ٢٢ . وقوله تعالى: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) المؤمنون / ٩١ .

ب- و اما العقل ، فقد استدلوا بادلة كثيرة منها ما ذكره الامام الغزالى وهو ما نصه : برهانه قوله تعالى : (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا) الانبياء /٢٢ . و بيانه انه لو كانا اثنين اراد احدهما امرا فالثانى ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثانى مقهورا ولم يكن الها قادرا ، وان كان قادرا على مخالفته و مدافعته كان الثانى قويا قاهرا و الاول ضعيفا قاصرا و لم يكن الها قادرا .[2]

ان التوحيد هو اول دعوة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - واول منازل الطريق الى الله عزو جل فقد قال الله تعالى :

(لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) الاعراف/٥٩.

---

١) اصول الدين الاسلامى ١١٣ / ١١٤ . عن الباجورى على الجوهرة ١ / ٥٤ و الدردير شرح الخريدة ٦٤ و رسالة فى التوحيد ٣٩ / ٤٢ .

٢) الاحياء ١ / ١٠٨ .

وقال هود عليه السلام لقومه :

(اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) الاعراف ٦٥ .

وقال صالح عليه السلام لقومه : (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) الاعراف ٧٣ .

و قال شعيب لقومه : (اعبدوا الله مالكم من اله غيره) الاعراف / ٨٥ . و قال تعالى : (و لقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله و اجتنبوا الطاغوت) النحل / ٣٦ . و قال تعالى : (و ما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) الانبياء / ٢٥ . و قال ﷺ :

(امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله) .[1]

و التوحيد يتضمن ثلاثة انواع :

(النوع الاول) الكلام في الصفات و سيأتي الحديث عنه :

(النوع الثاني) توحيد الربوبية كالاقرار بأن الله تعالى خالق كل شئ . وهذا التوحيد حق لا ريب فيه ولم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الاقرار به اعظم من كونها مفطورة على الاقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم : (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض) ابراهيم / ١٠ .

وحتى المشركون من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وان خالق السموات و الارض واحد كما اخبر تعالى عنهم بقوله : (و لئن سألتهم : من خلق السموات و الارض ليقولن الله) لقمان / ٢٥ . وقوله تعالى : (قل لمن الارض و من فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون) المؤمنون/ ٨٤ - ٨٥ . ومثل هذا كثير في القرآن ولم يكونوا يعتقدون في الاصنام انها مشاركة لله تعالى في خلق العالم بل كان حالهم فيها كحال امثالهم من مشركي الامم من الهند و الترك و البربر وغيرهم ، كانوا يعتقدون ان هذه تماثيل قوم صالحين من الانبياء و الصالحين و يتخذونهم شفعاء و يتوسلون بهم الى الله تعالى وهذا كان اصل شرك العرب ، قال تعالى حكاية عن قوم نوح : (وقالوا لا

---

(١) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ١٢ وفي هامشه - الحديث متفق عليه- من حديث ابن عباس .

تذرن الهتكم و لا تذرن ودا و لا سواعا و لا يغوث و يعوق و نسرا) نوح / ٢٣ . و قد ثبت فى صحيح البخارى و كتب التفسير و غيرهما عن ابن عباس -رضى الله عنه- وغيره من السلف ان هذه اسماء قوم صالحين فى قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال الامد عليهم فعبدوهم وان هذه الاصنام بعينها صارت الى قبائل العرب ذكرها ابن عباس -رضى الله عنه- قبيلة قبيلة .(١)

و لذلك ثبت عنه ﷺ انه حذر امته مما فعل اولئك فى احاديث كثيرة و صحيحة منها ما ثبت صحيح مسلم عن ابى الهياج الاسدى قال : قال لى على بن أبى طالب -رضى الله عنه- الا ابعثك على ما بعثنى رسول الله ﷺ : (امرنى ان لا أدع قبرا مشرفا الا سويته و لا تمثالا الا طمسته) .(٢)

و اشهر من عرف تجاهله و تظاهره بانكار الصانع فرعون وقد كان مستيقنا فى الباطن كما جاء فى القرآن الكريم حكاية عن قول موسى لفرعون : (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات و الارض بصائر) الاسراء /١٠٢ .

وقال عنه وعن قومه : (وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا) النمل /١٤ .

(النوع الثالث) : توحيد الالوهية وهو عبادة الله وحده ، لا شريك له ، وهو يتضمن توحيد الربوبية ، دون العكس و توحيد الالوهية هو المطلوب فى قوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون) الروم / ٣٠ .

والقرآن حافل بتقرير هذا التوحيد و بيانه و ضرب الامثال له و من ذلك انه يقرر **(توحيد الربوبية)** و يبين انه لا خالق الا الله و ان ذلك مستلزم ان لا يعبد الا الله فيجعل الاول دليلا على الثانى اذا كانوا يسلمون الاول و ينازعون فى الثانى فبين لهم سبحانه انكم اذا كنتم تعلمون انه لا خالق الا الله وحده و انه هو الذى يأتى العباد بما ينفعهم و يدفع عنهم ما يضرهم لا شريك له فى ذلك فلم تعبدون غيره و تجعلون معه

---

(١) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ١٠٤٠ وفى هامشه -الحديث وهو موقوف فى حكم المرفوع- .

(٢) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ١٤ وفى هامشه - الحديث صحيح اخرجه مسلم واحمد و غيرهما و له طرق ذكرتها فى ارواء الغليل- .

آلهة اخرى ؟ كقوله تعالى :

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ*

(النمل ٥٩ - ٦٠) .

يقول الله فى آخر كل آية (أإله مع الله) فعل هذا ؟ وهذا استفهام انكار يتضمن نفى ذلك وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله فاحتج عليهم بذلك وهو المناسب لسياق الاية .[١]

وهكذا يظهر لك ان التوحيد فطرة الله التى فطر الناس عليها منذ اقدم الازمنة وفى مختلف المجتمعات الانسانية .

المسألة الثالثة

(تأثير عقيدة التوحيد فى حياة الفرد و الجماعة)

لا أريد ان اعدد لك الآثار النبيلة والخلال الفاضلة الجليلة التى تظهر فى سلوك الفرد و حياة الجماعة حينما تتمسك بعقيدة التوحيد و تلتزم الايمان بالله تعالى طريقا و منهاجا ، لا أريد ان اعددها لك لانها اكثر من ان تعدد ، ولذلك اكتفى العلماء بذكر ابرز فوائدها واظهار نتائجها .[٢]

لا أرى فى هذا الصدد احسن مقالا و اكبر تأثيرا مما قصَّهُ علينا صاحب (قصة الايمان) حينما قال :

(اعلم ان الايمان بالله حق وحاجة و ضرورة ، فاما انه حق فقد عرفته مما حدثتك به) .[٣]

و أما أنه حاجة و ضرورة فانك تعلمه حين تدرك كما ادرك المؤمنون والملحدون

---

(١) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ١٢ / ١٧ - بتصرف - .

(٢) انظر اصول الدين الاسلامى ١١٨ / ١٢٠ ، مبادئ الاسلام ٧١ / ٧٧ .

(٣) انظر كتاب (قصة الايمان) وفيه اقام المؤلف الادلة على الايمان بالله تعالى من القرآن و الفلسفة و العلم باسلوب قصصى شيق و رصين جدا قل ان يوجد له مثيل ، وما ننقله لك هنا انموذج منه .

قاطبة على السواء ان الايمان بالله هو اساس الفضائل . ولجام الرذائل ، وقوام الضمائر . وسند العزائم فى الشدائد . وبلسم الصبر عند المصائب ، وعماد الرضى والقناعة بالحظوظ ونور الامل فى الصدور ، وسكن النفوس اذا أوحشتها الحياة ، وعزاء القلوب اذا نزل الموت او قربت ايامه . والعروة الوثقى بين الانسانية و مثلها الكريمة .

لا يخدعنك عن هذا من يقول لك ان مكارم الاخلاق تغنى بوازع الضمير عن الايمان ، لان مكارم الاخلاق التى تواضعنا عليها للتوفيق بين غرائزنا و حاجات المجتمع لا بد لها عند اعتلاج الشهوات فى الشدائد والازمات ان تعتمد على الايمان ، بل ان هذا الشئ الذى نسميه (ضمير) انما يعتمد فى سويدائه على الايمان .

و انقياد الناس لمكارم الاخلاق انما يكون بزاجر من السلطان او وازع من القرآن او رادع من المجتمع ، فاذا كنا فى نجوة من سلطان القانون والدين والمجتمع لم يبق لنا وازع الا الضمير ونحن فى معركة الشهوات و الغرائز مع الضمائر قلَّ ان ترى الضمير منتصرا الا عند القلة من الناس . وهذه القلة نفسها لا تتمسك بضمائرها عند جموح الشهوات الا اذا كانت تخشى الله ولو تركنا مكارم الاخلاق جانبا و نظرنا الى حاجتنا الى الايمان من حيث هو سند الشدائد ، وبلسم المصائب ، وسكن للنفوس ، عزاء للقلوب ، وعلاج لشقاء الحياة ، لوجدنا اننا عند فقد الايمان نكون أسوأ حظا فى الحياة و ادنى رتبة فى سلم المخلوقات من اذل البهائم و اضعف الحشرات و اشرس الضوارى .

فالبهائم تجوع كما نجوع و لكنها فى نجوة من هم الرزق وخوف الفقر و كرب الحاجة و ذل السؤال ، وهى تلد كما نلد و تفقد اولادها كما نفقد ولكنها فى راحة من هلع المثكلة و جزع الميتمة وهم اليتامى المستضعفين . وهى فى اجسادها تلتذ كما نلتذ و تألم كما نألم . تلتذ وتألم ولكنها فى راحة مما يأكل القلوب ويقرح الاجفان ، ويقض المضاجع ويقطع الارحام و يفرق الشمل و يخرب البيوت من المهلكات كالحسد و الكذب و النميمة و الفرية و القذف و النفاق و الخيانة و العقوق وكفر النعمة و نكران الجميل ، وهى تعرف بنوع من الادراك ما يضرها و ما ينفعها ولكنها فى نجوة من اعباء التكليف و اثقال الاوزار ، مضض الشك و كرب الحيرة و عذاب الضمير .

وهي تمرض كما تمرض ، وتموت ولكنها في راحة من التفكير في عقبى المرض و فراق الاحباب ، وسكرات الموت و مصير الموتى وراء القبور ، والضواري تسفك الدماء لتشبع بلا سرف ولكنها لا تسفكها أنفا و لا جنفا و لاصلفا و لا ترفا و لا علوا في الارض و لا استكبارا ، اما هذا الحيوان الفيلسوف (يقصد الانسان) الضعيف الهلوع الجزوع المطماع المختال الفخور المترف المتجبر السافك الدماء الذي لا يأتيه شقاء الحياة اكثر ما يأتيه الا من تفكيره ، فانه لا علاج لشقائه الا بالايمان . فالايمان هو الذي يقويه ، وهو الذي يعزّيه ، وهو الذي يسليه ، وهو الذي يمنيه ، وهو الذي يرضيه ، وهو الذي يجعله انسانا يسعى الى مثله الاعلى لتسجد له الملائكة ... من دون هذا الايمان يكون هذا الانسان المسكين اتعس الخلائق و اسوأها حظا و اعظمها شقاء و اشدها بلاء و احطها رتبة و ارذلها مصيرا .

وسيلة الى الايمان هو ذلك (التفكير) الذي كان سبب شقائه ، انه عبد لتفكيره قبل ان يكون عبد لربه ، ولا يكون عبدا لربه حق العبد الا بهذا التفكير الذي ينسج اكثر خيوط سعوده و نحوسه في الحياة الدنيا و في الاخرة .

لقد خلق الله هذا الانسان و رفعه وكرمه و ميزه بهذه النفس العاقلة المفكرة التي علمه بها الاسماء كلها ، وخلقه بها على الارض و صيّره بها فوق الملائكة وكتب الفلاح لمن زكاها والخيبة لمن دساها : (و نفس و ما سواها فألهمها فجورها و تقواها قد أفلح من زكاها و قد خاب من دساها) الشمس / ٧-١٠ . فكيف نزكيها ؟

اننا نزكيها بالتفكير حتى نتسامى الى مثلها الاعلى و نصل الى (اليقين) من الحق و الخير و الجمال فنرى الله عنده ... ونجد من حلاوة الايمان ما ندرك به سر شقائها و سعادتها و ضعفها و قوتها و عجزها و قدرتها و عبوديتها وحريتها بل سر خلقها و وضعها على مفترق (النجدين) و تركيبها على هذه القدرة القابلة (للضدين) التي من دونها لا يفهم معنى (العبودية) ولا يستقيم معنى (العبادة) ، لذلك كان حقا علينا من باب الحاجة و الضرورة ، ان لم يكن من باب الحق و العبادة و التقوى . ومن اجل سلامة عقولنا و سلامة قلوبنا و سلامة ضمائرنا و سلامة انسانيتنا و مثلها العليا

و سلامة المجتمع ان ندعو الى الايمان بالله و نيسره للعقول و نشرح له الصدور .[١]

المطلب الثالث

قدمه تعالى

والكلام ، على ذلك فيما يأتى :

١) تعريف القدم :

القدم فى اللغة العربية هو عدم الحدوث ، وفى الاصطلاح هو عدم سبق العدم لله ، والقديم معناه لا اول له . أو ما لم يسبق بالعدم .[٢]

٢) أدلته :

قام الدليل على قدمه تعالى (من المنقول و المعقول) :

أ- اما المنقول فقوله تعالى : (هو الاول والآخر والظاهر و الباطن و هو على كل شئ قدير) الحديد /٣ . وقوله ﷺ : (اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ و انت الآخر فليس بعدك شئ) .[٣]

ب- و اما المعقول : فانه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث و افتقر محدثة الى محدث و تسلسل ذلك الى مالا نهاية و ما تسلسل لم يتحصل او ينتهى الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذى سميناه مبدع العالم و مبدئه .[٤]

المطلب الرابع

بقاؤه تعالى

والكلام على ذلك فيما يأتى :

١) تعريف البقاء :

فى اللغة البقاء هو ضد الفناء او استمرار الوجود او سلب لحوق العدم .[٥]

---

(١) انظر قصة الايمان ٤٣٩ / ٤٤٢ .

(٢) انظر عبدالسلام على الجوهرة ٦٢ ، ام البراهين ٦٢ ، ضوء المعالى ١٤ .

(٣) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٢٢ وفى هامشه الحديث اخرجه مسلم ٨ / ٧٨ / ٧٩ فى حديث اوله كان رسول الله ﷺ يأمرنا اذا اخذنا مضجعا ان نقول ... فذكره .

(٤) انظر الاحياء ١ / ١٠٦ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٢٣ .

(٥) رسالة التوحيد ٣٣ .

وفى الاصطلاح هو انه ليس لوجوده سبحانه آخر فيستحيل ان يلحقه العدم و الفناء [١] فهو الدائم بلا انتهاء .[٢]

٢) ادلته :

قام الدليل على بقائه تعالى من المنقول و المعقول :

أ- أما المنقول فقوله تعالى : (هو الاول و الآخر) الحديد /٣ .

وقوله تعالى : (كل شئ هالك الا وجهه) القصص / ٨٨ . وقوله : (كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الاكرام) الرحمن / ٢٦ - ٢٧ . وقوله ﷺ : (وانت الآخر فليس بعدك شئ) الحديث الذى ذكرناه سابقا .

ب- واما المعقول فأدلته كثيرة منها : انه تعالى لو لم يكن باقيا لكان فانيا ولو كان فانيا لكان حادثا و لو كان حادثا لاحتاج الى محدث و محدثه يحتاج الى محدث و هكذا و عندئذ يلزم الدور و التسلسل و كلاهما باطل فيبطل ما ادى اليه و ثبت ان كل من وجب قدمه استحال عدمه .[٣]

المطلب الخامس
مخالفته تعالى للحوادث

والكلام على ذلك فى المسائل الآتية :

المسألة الاولى : انه تعالى ليس بجوهر يتحيز والكلام على ذلك فيما يأتى :

١) تعريف الجوهر :

قال بعضهم هو الجزء المتحيز الذى لا يتجزأ[٤] والله تعالى ليس بجوهرفلا يتحيز .

٢) ادلته :

قام الدليل النقلى و العقلى على انه تعالى ليس بجوهر :

أ- اما الدليل النقلى فقوله تعالى : (ليس كمثله شئ) الشورى / ١١ . وقوله تعالى :

(١) انظر الاحياء ١/١٠٦ ، المقتدى ٧٠ .

(٢) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٣٣ .

(٣) اصول الدين الاسلامى ١٠١ ، رسالة فى التوحيد ٣٣ - ٣٤ .

(٤) ضوء المعالى ١٩، المقتدى ٧١ .

(قل هو الله احد الله الصمد لم يلد و لم يولد ولم يكن له كفوا احد) سورة الاخلاص .

فدل ذلك على نفى مماثلته تعالى لشئ ما خلقه ومنه الجواهر .

ب- و اما الدليل العقلى فان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة او السكون (وهما حادثان) وما يخلو عن الحوادث فهو حادث .[1]

المسألة الثانية : انه تعالى ليس بجسم والكلام على ذلك فيما يأتى :

أ) تعريف الجسم :

هو المتحيز المركب من جزأين فصاعدا و هو يقبل القسمة[2] والله تعالى ليس بجسم يتجزأ ولا يقبل القسمة .

ب) ادلته :

قام الدليل النقلى و العقلى على انه ليس بجسم :

أ- أما الدليل النقلى فقوله تعالى : (ليس كمثله شئ) الشورى / ١١ . وقد ذكرناه آنفا .

ب- واما الدليل العقلى ، فان الجسم هو المؤلف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز كما ذكرناه آنفا :

بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز و مركب من جوهر .[3]

المسألة الثالثة : انه تعالى ليس بعرض والكلام على ذلك فيما يأتى :

أ) تعريف العرض :

هو ما يحل فى الجسم ويقوم به[4] والله تعالى ليس بعرض يقوم فى جسم او يحل

---

(١) الاحياء ١/ ١٠٦ - ١٠٧ . الاقتصاد فى الاعتقاد ٢٥ . (نقول)وهذا على تعريف القدماء و ارادوا بذلك الجزيئى الذى لا نهاية بعده فى الصغر ، ولذلك قال فى منظومة بدء الامالى ص ١٩ :

وفى الاذهان حق كون جزء بلا وصف التجزى يا ابن خالى .

وانظر ما قيل فى نظرية (الذرة) فى كتاب دراسات فى الفرق ١٤٠ و ما بعدها .

(٢) ضوء المعالى ١٩ ، المقتدى ٧١ .

(٣) انظر الاحياء ١ / ١٠٧ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٢٦ .

(٤) انظر الاحياء ١ / ١٠٧ ، الباجورى على السنوسية ١٦ تعريفات الجرجانى ٦٤ . وفيه -العرض الموجود الذى

فيه .

٢) ادلته :

قام الدليل النقلى والعقلى على انه تعالى ليس بعرض :

أ- اما الدليل النقلى فما ذكرناه فى المسألتين السابقتين .

ب- واما الدليل العقلى ، فان العرض يحتاج الى جسم يقوم به و يستحيل وجوده بدونه والجسم الذى يقوم به العرض حادث ، فثبت ان العرض حادث ، ويضاف الى ذلك ان العرض يحتاج الى شئ يقوم به الاحتياج من علامات الحدوث .[١]

المسألة الرابعة : انه تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات :

والكلام على ذلك فيما يأتى :

١) تعريف الجهات :

هى ست ، فوق وا... ... ... ختلف وهذه معلومة لك من قبل ،

والذى يهمنا ان نقوله هنا ... ... ية لان الجهات حادثة بحدوث

الانسان ، ولو لم يخلق الا... ... ... تديرا كالكرة لم يكن لهذه

الجهات وجود البتة الا... ... ... وق بالنسبة لها جهة الارض

؟ هكذا قال الامام الغزالى .

٢) الدليل على تنزهة تعالى عن الجهات :

ان المعقول من كونه مختصا بجهة انه مختص بحيز اختصاص الجواهر او مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا اوعرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة [٢] وكما انه تعالى منزه عن الاختصاص بالجهات فهو تعالى منزه عن

ـــ يحتاج فى وجوده الى موضع اى محل يقوم به ؟ الاحتياج فى وجوده الى جسم يحله و يقوم هو به . والاعراض على نوعين : الذات قار الذات الذى لا يجتمع اجزاؤه فى الوجود كالبياض و السواد و غير قار الذات الذى لا يجتمع اجزاؤه فى الوجود كالحركة والسكون . أ . هـ .

(١) انظر اصول الدين الاسلامى ١٠٣ ، الاحياء ١/ ١٠٧ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٢٦ .

(٢) انظر الاحياء ١ / ١٠٧ .

(٣) انظر الاحياء ١ / ١٠٧ ، مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٩٠ ، اصول الدين الاسلامى ١٠٤ / ١٠٦ .

الزمان والوقت والحال ، لا سيما وان الزمان مخلوق لله تعالى فيمضى على المخلوقين لا على الخالق و الالزم قبوله الحوادث وقد ثبت قدمه تعالى .[١]

نحصل مما مر فى (المسائل الاربعة) انه تعالى ليس بجوهر و لا جسم و لا عرض ولا مختص بمكان ولا زمان و لا حال من الاحوال بل لا يماثله تعالى شئ منها لا فى ذاته و لا فى صفاته و لا فى افعاله .[٢] وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله : (انه تعالى قائم بنفسه) اى لا يحتاج الى محل كالجواهر والاجسام والاعراض و لا الى مخصص اى مؤثر وموجد كسائر الحوادث .[٣]

وقال بعض العلماء ان وصفه تعالى بانه (قائم بنفسه)يندرج تحت القول بأنه تعالى: (مخالف للحوادث) .[٤]

المطلب السادس

استواؤه تعالى على العرش

والكلام على ذلك فيما يأتى :

١) تعريف الاستواء :

أ- ذهب السلف واهل الحديث الى وجوب الايمان بصف الاستواء لله على العرش استواء يليق بذاته من غير تأويل .[٥]

ب- وذهب (الاشاعرة) الى ان معنى الاستواء العلو و الرفعة .[٦]

ج- وذهب المجسمة الى ان معناه القعود والمماسة[٧] والعياذ بالله .

٢) دليل الاستواء :

---

(١)ضوء المعالى ٢٣ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٢٧ .

(٢) انظر ام البراهين والمقتدى ٧١ ، ضوء المعالى ١٩ -قوله- وما ان جوهر ربى الخ ، البيت عبدالسلام على الجوهرة ٦٤- ٦٥ .

(٣) ام البراهين والمقتدى ٧٧ عبدالسلام على الجوهرة ٦٥ ، ٦٦ .

(٤) حاشية الامير على عبدالسلام ٦٦ و فيه المأخوذ من كلام السنوسى فى المستحيلات اندراجه فى المخالفة للحوادث .

(٥) الغنية ١ / ٥٦ - ٥٧ ، ضوء المعالى ٢١ - ٢٢ .

(٦) الغنية ٥٧/١ .

(٧) الاحياء ١٠٨/١، ضوء المعالى ٢١ اصول الدين الاسلامى ١٠٩ .

ورد ما يدل على استواء الله على العرش فى آيات و احاديث اما الايات فقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) طه / ٥ .

و اما الاحاديث فمنها ما روى عن ابى هريرة -رضى الله عنه- عن النبى ﷺ أنه قال : (لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى) .[١]

٣) الراجح فى معنى الاستواء :

والراجح ما ذهب اليه السلف الصالح و علماء الحديث فى معنى الاستواء . و يؤيده ما روى ام سلمة زوج النبى ﷺ فى قول الله (عزوجل) : (الرحمن على العرش استوى) ، قالت : الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول و الاقرار به واجب والجحود به كفر) و قد اسنده مسلم بن الحجاج عنها عن النبى ﷺ فى صحيحه .[٢]

و يؤيده ايضا ان مسألة (الاستواء على العرش) كغيرها من الصفات الالهية من الغيبيات التى لا مجال للعقل فى ادراكها فنؤمن بها ولا نخرج فى تفسيرها عما جاء فيها من الكتاب والسنة الصحيحة و هذا مذهب الامام مالك والامام احمد و اختاره الامام ابو حنيفة [٣] -رضى الله عنهم .

المطلب السابع
رؤيته تعالى فى الاخرة

يرى جمهور العلماء انه تعالى مرئى فى الآخرة[٤] و بيان ما يتعلق بذلك فيما يأتى:

١) معنى الرؤية :

ذهب الاشاعرة ومن معهم الى ان معنى الرؤية الانكشاف التام المنزه عن المقابلة

---

(١) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ١٤٩ - ١٥٠ ، وفى هامشه الحديث متفق عليه .

(٢) الغنية ٥٦/١ ، ضوء المعالى ٢١ ، و علوم القرآن ٩٠ .

(٣) المصادر السابقة ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٣٢ دراسات فى الفرق ٢١٣ وفيه انظر قول الروانى شارح العقائد العضدية وقول ابن رشد .

(٤) الاحياء ١٠٨/١ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٣٧ ، اصول الدين للبغدادى ٩٧ ، مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٥٨-٥٩ ، المقتدى ٥٥ / ١٥٦ .

والمكان والجهة والصورة ، وقالوا انه لا يقتضى من الرؤية البصرية وجوب الجهة والمكان فانه تعالى يرى الخلق وليس فى مقابلتهم فذلك يجوز ان يراه الخلق بدون مقابلته ايضا.[1]

٢) ادلتها :

قامت الادلة على رؤيته تعالى فى الآخرة من الكتاب والسنة :

أ- **اما الكتاب فقوله :** (وجوه يومئذ ناطرة الى ربها ناظرة) القيامة/٢٢-٢٣ . **وقوله** تعالى : (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) يونس /٢٦ . **فالحسنى الجنة والزيادة هى النظر** الى وجهه الكريم فى الاخرة فسرها بذلك رسول الله ﷺ **والصحابة من بعده كما روى** مسلم فى صحيحه عن صهيب قال قرأ رسول الله ﷺ : (للذين احسنوا الحسنى و زيادة) و قال : اذا دخل اهل الجنة الجنة و اهل النار النار نادى منادى اهل الجنة ان لكم عند الله وعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو ؟ لم يثقل موزاينا و يبيض وجهنا و يدخلنا الجنة و يجرنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر اليه و هو الزيادة) .[2]

و قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين /١٥ . قال الامام الشافعى: **لما حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على ان اوليا ه يرونه فى الرضى .**[3]

ب- **و اما السنة فاحاديث كثيرة**[4] **منها :**

ما رواه ابو هريرة -رضى الله عنه- ان ناسا قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال فانكم

---

(١) ضوء المعالى ٢٧-٢٨ ، الاحياء ١٠٨/١ ، رسالة فى التوحيد ١٣٦-١٣٧ .

٢) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٦٠ وفى هامشه الحديث صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه واحمد و نحوه وانظر ايضا رسالة فى التوحيد ١٣٨ .

٣) مختصر شرح العقيدة الطحاوية / ٦٠ .

٤) احاديث الرؤية رواها نحو ثلاثين صحابيا ومن احاط بها معرفة يقطع بان الرسول ﷺ قالها ، انظر مختصر شرح عقيدة الطحاوية ٦٠ .

ترونه كذلك .[1]

وما رواه جرير بن عبدالله البجلى قال:كنا جلوسا مع النبى ﷺ فنظر الى القمر ليلة البدر اربع عشرة فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذالاتضامون فى رؤيته.[2]

من حديث لعدى بن حاتم : (و ليلقين الله احدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقول الم ابعث اليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول بلى يا ربى فيقول الم اعطك مالا و افضل عليك ؟ فيقول بلى يا رب .[3]

هذا و قد انكرت المعتزلة رؤية الله تعالى فى الآخرة مستدلين بعدة ادلة منها قول الله تعالى حينما طلب موسى عليه السلام رؤيته تعالى قال : (لن ترانى) الاعراف ١٤٣ . قالوا ان **(لن)** تفيد نفى الرؤية ابدا ، واجابهم الجمهور بانها يراد بها تأبيد النفى فى الدنيا لا تراه تعالى قال : (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) البقرة /٩٤ . ثم قال : (ولن يتمنوه ابدا) يعنى فى الدنيا ، لأن الكافر يتمنى فى الآخرة الموت ليتخلص من العذاب[4] فبطل قول المعتزلة .

المطلب الثامن

قدرته تعالى

اجمع اهل الحق على انه تعالى قادر[5] وبيان ما يتعلق بذلك فيما يأتى :

١) تعريف القدرة :

هى صفة ازلية يتأتى بها ايجاد كل ممكن و اعدامه[6] على وفق الارادة .[7]

---

(١) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٦٣ وفيه الحديث اخرجاه فى الصحيحين وفى هامشه متفق عليه .

(٢) المصدر السابق وفى هامشه الحديث متفق عليه .

(٣) المصدر السابق وفى هامشه الحديث رواه البخارى فى المناقب .

(٤) اصول الدين للبغدادى ٩٩ - ١٠٠ .وفيه مناقشة طرف من الموضوع وانظر ان شئت أدلة المعتزلة العقلية والنقلية والرد عليها بما يثبت رأى الجمهور ، انظر المقتدى ١٥٦/٥٥ و مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٥٨ و رسالة التوحيد ١٣٧ .

(٥) انظر الاحياء ١٠٨/١ ، الغنية ٥٥/١ . اصول الدين للبغدادى ٩٣ وما بعدها وانظر فيه اراء المخالفين وهم ثلاث فرق زرارية و كرامية و قدرية ... الخ .

(٦) اصول الدين الاسلامى ١٢٩ .

(٧) عبدالسلام على الجوهرة ٧٥ / ٧٧ ، أم البراهين ٩٠ /٩٢ ، رسالة فى التوحيد ٤٣، وفيه هذا رسم لاحد حقيقتى وهكذا سائر التعاريف المذكورة للصفات لان العقول محجوبة عن كنه ذاته وصفاته فلا يعلمها الا هو .

٢) ادلة القدرة :

قامت الادلة النقلية و العقلية على قدرته تعالى :

أ- **اما الادلة النقلية** فآيات كثيرة منها قوله تعالى :

(إن الله على كل شئ قدير) البقرة /٢٠ وقوله تعالى : (وكان الله على كل شئ مقتدرا) الكهف /١٥ . وقوله تعالى : (وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا) فاطر /٤٤ . وقوله تعالى : (ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون) المرسلات /٢٠-٢٣ . وقوله تعالى : (وسع كرسيه السموات والارض و لا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) البقرة /٢٥٥ .[١]

ب- **واما الادلة العقلية** فكثيرة منها ما اشار اليه الامام الغزالى قائلا : ان العالم محكم فى صنعته مرتب فى خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز و التطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له او عن انسان لا قدرة له كان متخلفا عن غريزة العقل و منخرطا فى سلك أهل الغباوة والجهل .[٢]

المطلب التاسع
علمه تعالى

اجمع اهل الحق على انه تعالى عالم بجميع الموجودات و محيط بجميع المخلوقات [٣] و بيان ما يتعلق بذلك بما يأتى :

أ) تعريف العلم :

عرف بعدة تعاريف منها :

---

(١) وينظر مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٢١-٢٢ . وفيه (لا يؤوده) اى لا يكثره ولا يثقله ولا يعجزه ، فهذا النفى لثبوت كمال ضده و كذلك كل نفى يأتى فى صفات الله تعالى فى الكتاب والسنه كقوله تعالى : (ولا يظلم ربك احدا) الكهف /٤٩. الى قوله والا فالنفى الصرف لا مدح فيه .

(٢) انظر الاحياء ١٠٨/١ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٤٨ عبدالسلام على الجوهرة ٧٧، اصول الدين الاسلامى ١٢٩ .

(٣) انظر الاحياء ١٠٨/١ ، شرح عبدالسلام على الجوهرة ٨١ ، اصول الدين الاسلامى للبغدادى ٩٥، تحفة الاعالى ٢٠ تعريفات الجرجانى ٦٧ ، ام البراهين ٩٥ .

انه صفة أزلية تنكشف بها الموجودات و المعدومات على ما هى عليه انكشافا لا يحمل التنقيض بوجه .[1]

وضده الجهل وما فى معناه كالظن والشك والوهم و الذهول الغفلة و النسيان والسهو .[2]

٢) ادلة علمه تعالى :

قامت الادلة النقلية والعقلية على علمه تعالى :[3]

أ- **اما الادلة النقلية** فقوله تعالى : (إن الله عليم بذات الصدور) لقمان/٢٣ . وقوله تعالى : (وهوَ بكل شئ عليم) البقرة /٢٩ . وقوله تعالى : (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك /١٤ . وقوله تعالى : (إنك انت علام الغيوب) المائدة / ١٠٩ ، ١١٦ . وقوله تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو و يعلم ما فى البر و البحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها و لا حبة فى ظلمات الارض و لا رطب و لا يابس الا فى كتاب مبين) الانعام /٥٩ .

ب- و اما **الادلة العقلية** فكثيرة منها ما عبر عنه الغزالى بقوله : **(الله فاعل فعلا متقنا محكما وهذا ظاهر لمن فى الآفاق و الانفس و الاحياء ومن كان فعله متقنا كان عالما ، لان من رأى خطا حسنا يتضمن الفاظا عذبة رشيقة تدل معان دقيقة علم بالضرورة ان كاتبه عالم)** .[4]

ومنها انه لو لم يكن الله عالما لكان جاهلا ولو كان جاهلا لكان ناقصا والنقص على الاله محال ،ولانه لو كان ناقصا لاحتاج الى من يكمله ومكمله يحتاج الى مكمل

---

(١) اصول الدين الاسلامى ١٣٥ عن الدردير على شرح الخريدة ٧٧ /٧٨ . ونحوه فى العقيدة الاسلامية ٤٤ .

(٢) اصول الدين الاسلامى ١٣٥ ، رسالة فى التوحيد ٤٨ .

(٣) انظر الاحياء ١٠٨/١ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٥٩ ، مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٣٤ ، اصول الدين الاسلامى ١٣٦ ، رسالة فى التوحيد ٤٨ -٤٩ .

(٤) انظر الاحياء ١٠٨/١ .

فليزم الدور او التسلسل وكلاهما باطل فيثبت علمه تعالى .[١]

المطلب العاشر
حياته تعالى

اجمع اهل الحق على انه تعالى حى [٢] و بيان ما يتعلق بذلك فيما يأتى :

١) تعريف الحياة :

هى صفة ازلية توجب صحة العلم والارادة و باقى الصفات .[٣]

وهناك تعاريف اخرى بهذا المعنى . [٤]

فحياته تعالى ازلية وليست ناشئة انبعاث الروح فى ذاته كما يجرى ذلك للانسان او الحيوان لانه تعالى منزه عن ذلك [٥] وحياته تعالى ابدية فهو قيوم لا ينام .[٦]

٢) ادلة الحياة :

قامت الادلة النقلية و العقلية على انه تعالى حى قيوم :

أ- **أما الادلة النقلية** فكثيرة منها قوله تعالى : (الله لا إله الا هوالحى القيوم لا تأخذه سنة و لا نوم) البقرة /٢٥٥ . وقوله تعالى : (آلم الله لا إله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق ...)أل عمران /١-٣.وقوله تعالى : (وعنت الوجوه للحى القيوم) طه /١١١ . وقوله تعالى : (وتوكل على الحى الذى لايموت و سبح بحمده) الفرقان /٥٨ . وقوله تعالى : (هو الحى لا اله الا هو) غافر /٦٥ .

ومنها قوله ﷺ : (إن الله لا ينام و لا ينبغى له أن ينام) .[٧]

---

(١) اصول الدين الاسلامى ١٣٦ عن الباجورى على الجوهرة ٦٢/١ وابن قطلوبغا على المسايرة ٦٢/٦٠ . وانظر ايضا العقيدة الاسلامية والاخلاق ٤٦/٤٥ .

(٢) انظر الاقتصاد فى الاعتقاد ٦٠، عبدالسلام على الجوهرة ٨٤ ، اصول الدين ١٠٥ ، ضوء المعالى ١٤ ، أم البراهين ٩٩، العقيدة الاسلامية و الاخلاق ٤٢ ، رسالة فى التوحيد ٤٩ .

(٣) اصول الدين الاسلامى ١٤٣ عن الدردير على الخريدة ص ٧٨ و الصاوى عليه .

(٤) اصل الدين ١٠٥ ، عبدالسلام على الجوهرة ٨٤ ، أم البراهين ٩٩ ، ضوء المعالى ١٤ .

(٥) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٢٧ ، العقيدة الاسلامية ٤٢ .

(٦) اصول الدين للبغدادى ١٠٥ ، رسالة فى التوحيد ٤٩ .

(٧) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٢٦ وفى هامشه الحديث رواه مسلم و ابن ماجه وابن سعيد الدارمى .

ب- **و اما الادلة العقلية فمنها:** (انه تعالى لو لم يتصف بالحياة لما صح اتصافه بالقدرة و الارادة و العلم لانه لا يتصور قيامها بغير حى و هو محال) [1] وقد اشار الامام الغزالى الى ذلك بقوله : (ان من ثبت علمه و قدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر و عالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات بل فى حياة ارباب الحرف والصناعات و ذلك انغماس فى غمرة الجهالات و الضلالات) .[2]

٣) عظمة اسم الحى القيوم :

ذكر بعض العلماء ان هذين الاسمين **(الحى القيوم)** مذكوران فى القرآن معا فى ثلاث سور و قال انهما من اعظم اسماء الله الحسنى لانهما يتضمنان اثبات صفات الكمال اكمل تضمن و اصدقه و لذا قال ﷺ مشيرا الى ذلك : (الله لا اله الا هو الحى القيوم) البقرة /٢٥٥ اعظم آية فى القرآن كما ثبت ذلك فى الصحيح .[3]

المطلب الحادى عشر

ارادته تعالى

اجمع العلماء على انه تعالى مريد لأفعاليه فلا موجود الا مستند الى مشيئته و صادر عن ارادته [4] وبيان ما يتعلق بذلك فيما يأتى :

ا) تعريف الارادة :

هى صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه [5] من وجود او عدم و مقدار و زمان و مكان وجهة .[6]

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ٦٠ ، اصول الدين الاسلامى ١٤٣ عن المواقف ٤٩٢ والمقاصد وشرحه ٩/٢ و الباجورى على الجوهرة ٦٤/١ .

(٢) الاحياء ١٠٨/١ - ١٠٩ .

(٣) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٢٧ ، وفى هامشه الحديث رواه مسلم .

(٤) انظر ام البراهين ٨٨ ، عبدالسلام على الجوهرة ٧٩ ، اصول الدين الاسلامى للبغدادى ١٠٢ ، مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٢٣ ، الغنية ٥٥/١ ، العقيدة و الاخلاق ٤٨ .

(٥) ام البراهين ٩٢ ،عبدالسلام على الجوهرة ٨٠ .

(٦) رسالة فى التوحيد ٤٥ ،العقيدة الاسلامية و الاخلاق ٤٨ ، اصول الدينى الاسلامى١٣١عن الدردير على الخريدة ٧٨ .

٢) اقسام الارادة قسّم جمهور العلماء الارادة الى قسمين :

أ- إرادة كونية قدرية ، وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات .

وذلك مثل قوله تعالى : (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) الانعام /١٢٥ ، وقوله تعالى عن نوح عليه السلام : (لا ينفعكم نصحي إن اردت ان انصح لكم إن كان الله يريد ان يغويكم) هود /٣٤ . وقوله تعالى : (ولكن الله يفعل ما يريد) البقرة /٢٥٣ ، هذه الارادة هي المذكورة في قول المسلمين : **(ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)** .

ب- ارادة دينية آمرية شرعية ، وذلك مثل قوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر) البقرة /١٨٥ ، وقوله تعالى : (يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم و يتوب عليكم و الله عليم حكيم) النساء /٢٦ وقوله تعالى : (والله يريد ان يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما . يريد الله ان يخفف عنكم و خلق الانسان ضعيفا) النساء /٢٧- ٢٨ . و قوله تعالى : (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم و ليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) المائدة / ٦ و قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) الاحزاب /٣٣ .

وهذه الارادة هي المذكورة في قول الناس لمن يفعل القبائح : **(هذا يفعل ما لا يريده الله)** اي لا يحبه و لا يرضاه و لا يأمر به .[١] وفي ضوء هذا التقسيم تفهم قول الجمهور العلماء : **(ان الارادة لا تستلزم الرضا)** و لذلك قال الامام التفتازاني ، هو مذهب اهل الحق لان كل ما اراد الله تعالى فهو كائن و ان كل كائن فهو مراد له وان لم يكن مرضيا و لا مأمورا به بل منهيا وهذا ما اشتهر من السلف : **(ان ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن)** .[٢]

٣) ادلة الإرادة :

قامت الادلة النقلية و العقلية على انه سبحانه و تعالى مريد :

أ- **اما الادلة النقلية** فقد ذكرنا لك شواهد كثيرة فيما تقدم .

(١) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٢٤ .

(٢) اصول الدين الاسلامي ٣٣٣ ، عن الباجوري على شرح الجوهرة ١/ ٦٠ ، وانظر ايضا ضوء المعالي ١٥ .

ب- **واما الادلة العقلية** فكثيرة[1] نكتفى منها بما ذكره الامام الغزالى قائلا : كيف لا يكون مريدا و كل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده و ما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله او بعده ، والقدرة تناسب الضدين و الوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى حد المقدورين .[2]

المطلب الثانى عشر

سمعه و بصره تعالى

اجمع اهل الحق على انه تعالى سميع بصير[3] و بيان ما يتعلق بذلك فيما يأتى :

١) تعريف السمع و البصر :

أ- **السمع** صفة أزلية تتعلق بالمسموعات[4] او بالموجودات[5] فتدرك ادراكا تاما لا على طريق التخيل او التوهم و لا على طريق تأثير حاسة او هواء .[6]

ب- **البصر** : صفة ازلية ينكشف له تعالى بها كل موجود سواء كان قديما او حديثا[7] وان لطف[8] من غير حدقة و لا اجفان و ضده العمى .[9]

٢) ادلة السمع و البصر :

قامت الادلة النقلية و العقلية على انه تعالى سميع بصير :

أ- **اما الادلة النقلية** فقوله تعالى : (ان الله سميع بصير) الحج / ٥٧ ولقمان /٢٨ . و قوله تعالى : (ليس كمثله شئ و هو السميع البصير) الشورى /١١ ، وقوله تعالى : (اننى معكما اسمع و ارى) طه/ ٤٦ ، وقوله تعالى على لسان ابراهيم قائلا لابيه : (يا أبت لم

---

(١) العقيدة الاسلامية والاخلاق ٤٩-٥٠ ، اصول الدين الاسلامى ١٣٢ .

(٢) انظر الاحياء ١٠٩/١ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٦٠ .

(٣) الاحياء ١٠٩/١ ، ام البراهين ٩٩ ، اصول الدين للبغدادى ٩٦ ، عبدالسلام على الجوهرة ٨٥ ، الاقتصاد ٦٥ ، رسالة فى التوحيد ٥٣ و ٥٤ ، العقيدة الاسلامية و الاخلاق ٥٩ .

(٤) انظر اصول الدين للبغدادى ٩٦ ، ام البراهين ١٠١ و ١٠٢ اصول الدين الاسلامى ١٣٤ عن المناصرة ٦٨ ، والدسوقى على الجوهرة ٦٦/١ .

(٥) ام البراهين ١٠١ / ١٠٢ ، عبدالسلام على الجوهرة ٨٠ .

(٦) الاحياء ١٠٩/١ ، أصول الدين للبغدادى عبدالسلام على الجوهرة ٨٥ .

(٧) ام البراهين ١٠٢/١ .

(٨) اصول الدين الاسلامى ١٣٤

(٩) الاحياء ١٠٩/١ .

تعبد ما لا يسمع و لا يبصر و لايغنى عنك شيئا) مريم / ٤٦ .

ب- **اما الادلة العقلية** فكثيرة ولنكتف بما ذكره العلماء فى ان السمع والبصر من صفات الكمال و قد اتصف بهما المخلوق فهو تعالى احق بهما و الالزم ان يكون للمخلوق من صفات الكمال ما ليس للخالق و ذلك محال . [١]

المطلب الثالث عشر

كلامه تعالى

اجمع المسلمون على ان الله سبحانه و تعالى (متكلم)[٢] وبيان ما يتعلق بذلك فيما يأتى :

ا) توطئة :

أ- يطلق العرب الكلام على قسمين :

احدهما : الالفاظ المسموعة المكونة من الاصوات و الحروف .

ثانيهما: المعنى القائم بالنفس، ومنه قوله تعالى:(ويقولون فى انفسهم) المجادلة /٨ .

ومنه قول العرب : **(فى نفسى كلام)** :

لا يعجبـــــنك من امير خطه حتى يكون مــع الكلام اصيلا

ان الكلام لفى الفـــؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا [٣]

بل قال الامام الغزالى :

(الكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات ، وقد التبس هذا الكلام على طائفة من الاغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء ومنه قول الاخطل : وذكر ما قلناه من شعر الاخطل) .[٤]

ب- اذا تقرر ما قلناه فى (التوطئة) فان كلام الله تعالى على قسمين كذلك :

أحدهما : الالفاظ المسموعة المكونة من الاصوات والحروف وهذه مخلوقة لانها

---

(١) الاحياء ١/ ١٠٩، رسالة فى التوحيد ٥٤ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٦٦ .

(٢) الاقتصاد فى الاعتقاد ٦٧ .

(٣) الاحياء ١٠٩/١ ، مناهل العرفان ٩/٨/١ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٩٦ ، اصول الدين الاسلامى ١٣٩ .

(٤) الاحياء ١٠٩/١ .

تسمع على لسان الانسان الحادث الذى يقرأ القرآن فهى حادثة .[1]

ثانيهما : المعنى القائم بذات الله تعالى ، وهو كلام نفسى غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت و منزه عن التقديم و التأخير و اللحن والاعراب و سائر انواع التغيرات لان هذه كلها أوصاف الكلام الحادث وكلام الله النفسى قديم و القديم لا يوصف باوصاف الحوادث ، وكيفيته مجهولة لنا كما نجهل ذاته تعالى وجميع حقائق صفاته .[2]

ولذلك قال فى العقيدة الطحاوية : **(ان القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولا ، وانزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا وايقنوا انه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم انه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله و عابه و أوعده بسقر حيث قال تعالى : (سأصليه سقر) المدثر/٢٦ ، فلما أوعد الله بسقر لمن قال : (إن هذا الا قول البشر) المدثر/٢٥ . علمنا انه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر)** .[3]

٢) تعريف كلام الله تعالى :

هو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بصوت و لا حرف[4]، ومنافية للسكوت و الآفة[5] وهذا التعريف بناء على اطلاق الكلام على القسم الثانى مما ذكرناه آنفا .

٣) دليل الكلام :

قام الدليل النقلى و العقلى على انه تعالى متكلم :

أ- **أما الدليل النقلى** فآيات منها قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما) النساء/١٦٤ . وقوله تعالى : (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء الحجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) الشورى/٥١ وقوله تعالى : (و ان احد من

(١) ام البراهين ١٠٧ ، اصول الدين للبغدادى ١٠٨ ، ضوء المعالى ٢٠ مناهل العرفان ١/٩ .

(٢) ام البراهين ١٠٤ و ١٠٧ ، مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٥٣ ، رسالة فى التوحيد ٥١ ، العقيدة الاسلامية والاخلاق ٥٨ و٥٩ .

(٣) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٤٧ .

(٤) رسالة فى التوحيد ٥٠ ،

(٥) ضوء المعالى ٢٠ .

المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) التوبة /٦ .

ب- **وأما الدليل العقلي** ، فهو انه تعالى لو لم يكن متكلما للزم ان يتصف بضده و اتصافه بضده نقص و هو باطل لان النقص لا يرضى به المخلوق فكيف بالحق فثبت اتصافه بصفة الكلام .[١]

هناك مسائل اخرى تتعلق بكلام الله آثرنا تركها لانه لا ينبني على معرفتها مزيد فائدة .[٢]

خاتمة

ما ذكرناه من قبل هو ابرز صفات الله تعالى التي يجب الايمان بها ، واذا وجب الايمان بذلك لله سبحانه و تعالى وجب تنزيهه عن اضدادها ، لذلك فهو تعالى منزه عن الشريك و العدم و الفناء و الجهل و مماثلة الحوادث والعجز والموت والاكراه والعمى والخرس و كل ما لايليق بحقه سبحانه وتعالى .

المبحث الرابع
القضاء والقدر
(او الجبر و الاختيار)

والكلام على ذلك فيما يأتي :

ا) تعريف القضاء والقدر :

أ- القضاء : ارادة الله المتعلقة في الأزل بجميع الاشياء خيرها و شرها على ما هي عليه فيما وجد وما يوجد .

ب- القدر : ايجاد الاشياء خيرها و شرها على قدر مخصوص و تقدير معين طبقا لارادة الله تعالى .[٣]

---

(١) رسالة في التوحيد ٥٣ ، واصول الدين الاسلامي ١٣٨ .

(٢) انظر الاحياء ١٠٩/١ ، الاقتصاد في الاعتقاد ٦٧ ، رسالة في التوحيد ٥٧ وفيها مسألة : هل يمكن سماع الكلام النفس ، فراجعها ان شئت ذلك .

(٣) انظر رسالة في التوحيد ١٢٢ -١٢٣ ، اصول الدين الاسلامي ١٥٦ ، عن الباجوري على الجوهرة ١٦/٢ والمواقف ٥٢٩ .

٢) الايمان بالقضاء و القدر :

نحن نجد فى احاديث رسول الله ﷺ ما يؤكد الايمان بالقدر خيره و شره ، فحينما سأل جبريل النبى ﷺ عن معنى الايمان بيّنه بقوله ﷺ : (ان تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره و شره) .[١]

وقوله ﷺ فى حديث آخر بلفظ : (احفظ الله تجده امامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة و اعلم ان اخطأك لم يكن ليصبك وما اصابك لم يكن ليخطئك واعلم ان النصر مع الصبر و ان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا) .[٢]

وهكذا قرر الاسلام ان الايمان بالقدر اصل من اصول عقائده فى وضوح لا لبس فيه ، واوجب على المسلم ان يؤمن بما قدره الله تعالى عليه من خير او شر و بأن ما اصابه لم يكن ليخطئه و بأن ما اخطأه لم يكن ليصيبه .[٣]

ولما كان مبنى العبودية والايمان بالله و كتبه ورسله على التسليم و عدم الاسئلة عن تفاصيل الحكمة فى الاوامر والنواهى والشرائع كان سلف هذه الامة التى هى اكمل الامم عقولا و معارف وعلوما لا تسأل نبيها لم امر الله بكذا ؟ ولم نهى عن كذا ؟ ولم فعل كذا ؟ لعلمهم ان ذلك مضاد للايمان والاستسلام .[٤]

وموقف الصحابة هذا ايضا نابع من توجيه النبى ﷺ لهم بذلك ويؤكده ما ذكرناه اول هذا الكتاب .[٥]

٣) تطور النظر فى (القضاء و القدر) بعد عهد النبى ﷺ :

لما انتهى المسلمون من فتوحاتهم و اختلطوا بغيرهم من الشعوب بدأوا يفكرون من

(١) علم الكلام ١٣٧ ، مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٢١٧ .الجامع الصغير ٤١٢/١ وفيه رواه الامام احمد فى مسنده و رواه ابو داود والترمذى والنسائى عن عمر وهو صحيح وانظر ايضا دليل الفالحين ١/ ٢٦٦ وما بعدها ، اصول الدين الاسلامى ١٥٧ .

(٢) دليل الفالحين ٢٨٩/١ وفيه الحديث من رواية عبد بن حميد فى مسنده لكن باسناد ضعيف وفيه ايضا ٢٨٤/١ الحديث بغير هذا اللفظ عن رواية الترمذى قال فيه حديث حسن صحيح ، وقد رواه الامام احمد باسنادين منقطعين . وانظر ايضا علم الكلام ١٣٧ .

(٣) علم الكلام ١٣٧ .

(٤) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٢٢٧ .

(٥) انظر المطلب الاول -نبذة تأريخية عن ادوار علم العقائد فى هذا الكتاب .

جديد في (مشكلة القدر) فاختلفوا الى ثلاث فرق كانت كل فرقة تتلمس من نصوص القرآن والسنة ما يوافق مذهبها ثم تتأول ما يمكن ان يعارضها من النصوص الاخرى تأويلا يوافق مذهبها [1] و بيان هذه الفرق واقوالها و ادلتها باختصار فيما يأتي :

الفرقة الاولى: القدرية:

وهم الذين يزعمون ان كل عبد خالق لفعله و لا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى .[2]

و بعبارة اخرى : ان للانسان ارادة يدير بها مستقلة عن ارادة الله .[3]

واستدلوا على ذلك بالادلة النقلية و العقلية :

أ- **اما الادلة النقلية** التي توحي بالاختيار عندهم فقوله تعالى : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر) الكهف /٢٩ ، وقوله تعالى : (لمن شاء منكم أن يتقدم او يتأخر ، كل نفس بما كسبت رهينة) المدثر/٣٧-٣٨ . وقوله تعالى : (ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ، ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليما حكيما) النساء/١١٠ ، وقوله تعالى : (أنا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) سورة الانسان/٣٠ وقوله تعالى : (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه) الانعام/١٠٤ ، من الاحاديث الشريفة ما ورد عنه ﷺ انه قال : كل مولد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه) .[4]

فكل هذه الادلة النقلية تدل على ان الانسان خالق لافعاله عند هؤلاء .

لكن اجابهم الجمهور بانه لا تعارض بين هذه النقول التي توحي بالاختيار وبين النقول التي توحي بالجبر والتي سنذكرها لان كلا منهما محمول على جانب من جوانب الانسان مع الله تعالى .[5]

---

(١) علم الكلام ١٣٩ .

(٢) تعريفات الجرجاني ٨٨٥ ، دراسات في الفرق ٢٦١ .

(٣) علم الكلام ١٣٩ ، اصول الدين الاسلامي ١٦١ .

(٤) دراسات في الفرق ٢٤٨ . الجامع الصغير ١٥٨/٢ . وفيه لفظ : (كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرف عنه لسانه فابواه ...) والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن عن الاسود بن سريع وهو حديث صحيح .

(٥) علم الكلام ١٣٩ .

ب- **واما الادلة العقلية فمنها :** انه لو قلنا ان الانسان مجبر فقدرته لا اثر لها ولو لم تكن له قدرة لما كان معنى للاوامر والنواهى ولا الثواب ولا العقاب ولا الوعد و لا الوعيد .[1]

ولا نتفت فائدة بعثة الانبياء لان البعثة دعوة و الدعوة لا بد ان تسبقها الحرية والاختيار .[2]

واجابهم الجمهور : بانا لا نقول بان الانسان مجبر مطلقا حتى لا تكون له قدرة اصلا كما يقول الجبرية ، لئلا يبطل الثواب و العقاب ولا نوافقكم بان له قدرة على خلق افعاله لان الله تعالى خالق افعال العباد .

الفرقة الثانية : الجبرية

وهم الذين نفوا ان يكون للانسان قدرة ولا ارادة ولا اختيار بل هو مجبر فى افعاله والله يخلق فيه الافعال كما يخلقها فى الحيوان والجماد . ونسبتها الى الانسان على سبيل المجاز كما تنسب الى الجمادات والنباتات فنقول تغذى النبات وتحرك الحجر و الثواب والعقاب جبر التكاليف الشرعية جبر ايضا .[3]

وعلى هذا فالارادة الالهية عندهم مطلقة والانسان مجبر لا فعل له مطلقا و لاخلقا ولا كسبا .[4]

واستدلوا على ذلك بالادلة النقلية و العقلية :

أ- **أما الادلة النقلية** التى توحى بالجبر عندهم فقوله تعالى :

(وما تشاؤون الا أن يشاء الله) الانسان/ ٣٠ . و قوله تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) الصافات /٩٦ وقوله تعالى : (وربك يخلق ما يشاء و يختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون) القصص / ٦٨. وقوله تعالى : (ولا تقولن لشئ انى

---

(١) دراسات فى الفرق ١٦٢ .

(٢) دراسات فى الفرق ٢٦٢ ، اصول الدين الاسلامى ١٦١ /١٦٢ .

(٣) انظر : دراسات فى الفرق ٢٥٥ ، اصول الدين الاسلامى ١٦٠ ، رسالة فى التوحيد ١٢٨ ، ، علم الكلام ١٤٥

(٤) ١٤٠ . فى الملل والنحل ٨٧/١ .

علم الكلام ١٣٩ /١٤٤ /١٤٥ .

فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) الكهف /٢٣ - ٢٤ . وقوله تعالى : (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) الانفال /١٧ وقوله تعالى : (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) التوبة/٥١ وغير ذلك من الآيات .[١]

ومن الاحاديث باضافة الى ما ذكرناه اول البحث ، ما روى عنه ﷺ انه قال : (لا يؤمن احدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره) .[٢] وما روى عنه ﷺ انه قال : (الشقى من كان شقيا فى بطن امه والسعيد من وعظ بغيره) .[٣] وقوله ﷺ : (ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب ابائهم)[٤] وقوله ﷺ : (مابلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه) .[٥]

ب- **واما الادلة العقلية** فمنها : ان دخول مقدور واحد تحت قدرتين غير ممكن لانه يقال حينئذ اما ان يكون فعل العبد مقدور الله تعالى فقط واما ان يكون مقدورا للعبد فقط ، والثانى غير مسلم ، لان الدليل من العقل والنقل قضى بأن المؤثر فى جميع الاشياء ، ومنها افعال العباد هو الله تعالى ، فلا يكون للعبد تأثير اصلا فى شئ ما فيكون مضطرا فى جميع افعاله[٦] لذلك فالانسان مجبر فى افعاله عندهم ، واجاب (الجمهور) عن :

أ- **الدليل العقلى** : بأنه لا مانع من دخول المقدور تحت قدرتين ، قدرة الله من حيث الخلق والابداع ، وقدرة الانسان التى خلقها الله فيه من حيث الاكتساب .

ب- **ومن قولهم : (بالجبر الخالص)** بأنه يؤدى الى انه لا تكليف بالاوامر والنواهى ، لان الانسان لا يستطيع تنفيذ الاوامر والاجتناب عن المناهى مادام مجبرا كما يقولون ، ولا معنى حينئذ لارسال الرسل و لا فائدة من ترتيب الثواب على الطاعات و العقاب

---

(١) انظر علم الكلام ١٣٦ ، اصول الدين الاسلامى ١٥٩ ، دراسات فى الفرق ٢٤٧ ، رسالة فى التوحيد ١٢٩ .

(٢) دراسات فى الفرق ٢٤٧ ، وفيه رواه الامام احمد فى مسنده ١٨١/٢ .

(٣) دراسات فى الفرق ، وفيه رواه مسلم ٤٥/٢ .

(٤) دراسات فى الفرق ٢٤٨ .

(٥) دراسات ٢٤٨ ، وفيه رواه ابو داود فى سنة (الباب الحادى عشر) وينظر ايضا علم الكلام ١٣٧ ، اصول الدين الاسلامى ١٥٩ .

(٦) رسالة فى التوحيد ١٢٨ .

على المعاصي.[1]

الفرقة الثالثة: المتوسطون بين الجبر والاختيار:

وهم **(جمهور العلماء)** وهؤلاء قالوا ان افعال الانسان مخلوقة لله تعالى وليس للعبد تأثير في ايجادها وان الله يخلق في الانسان القدرة على اصدار ذلك الفعل، فالفعل ابداع واحداث لله تعالى وكسب للعبد.[2]

أ- واستدلوا على ان افعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى خيرا كانت او شرا بما يأتي:

١) بالآيات الدالة على خلق الله للانسان و اعماله التي ذكرها القدرية.[3]

٢) انا لو قلنا ان العبد يخلق اعماله لأدّى ذلك الى ان يكون الخالق اثنين وذلك اشراك بالله تعالى في الخالقية و القول بذلك كفر.[4]

ب- واستدلوا على قولهم: بأن الله يخلق في الانسان القدرة والاستطاعة المقارنة لفعله لا مقدمة على الفعل و لا متأخرة عنه[5]، وسموا ذلك الفعل للانسان (كسبا).[6]

استدلوا بأن الانسان يدرك بالضرورة الفرق بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية وهذه القدرة التي للانسان لا تكون جبرا محضا، ولا تكون خلقا للعبد لانه لا يحيط علما بتفاصيل اجراء الحركات المكتسبة واعدادها، واذا بطل الطرفان لم يبق الا (الاقتصاد في الاعتقاد) وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعليق يعبر عنه (بالاكتساب).[7]

وعلى هذا فان الله تعالى اذا وجد من الانسان القصد والنية والاكتساب في المعصية اجرى خذلانه له في ذلك فيستحق العقاب على فعل نفسه، واذا وجد عكس

---

(١) اصول الدين الاسلامي ١٦١.
(٢) المصدر السابق ١٦٢.
(٣) انظر الاحياء ١/ ١١٠، (الاصل الاول) علم الكلام ١٤٨.
(٤) علم الكلام ١٤٨.
(٥) علم الكلام ١٤٩.
(٦) علم الكلام ١٥١.
(٧) الاحياء ١/ ١١١، دراسات في الفرق ٢٦٧.

ذلك يجرى عونه وتوفيقه مع فعل الانسان للخير فيستحق بذلك الثواب .[1]

وبهذا المذهب المتوسط (الذى ذهب اليه الجمهور) بين مذهبى القدرية والجبرية نحصل على ما يأتى :

ان الجمهور عملوا بجميع الآيات التى يوحى بعضها بالجبر و ويحى بعضها الاخر بالاختيار ، ووفقوا بينها على ان كل مجموعة منها تعبر عن جانب من جوانب الانسان فى علاقته مع الله تعالى ، فالانسان مجبر من ناحية و مختار من ناحية اخرى و لا تعارض فى ذلك .[2]

ولذلك قال الامام الطحاوى : بعد ان ذكر اقوال القدرية و الجبرية فى المسألة قال : **(فكل دليل صحيح يقيمه الجبرى فانما يدل على ان الله خالق كل شئ وانه على كل شئ قدير ، وان افعال العباد من جملة مخلوقاته ، وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يدل على ان العبد ليس بفاعل فى الحقيقة ولا مريد ولا مختار وان حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الاشجار ، وكل دليل صحيح يقيمه القدرية فانما يدل على ان العبد فاعل لفعله حقيقة وانه مريد له حقيقة وان اضافته ونسبته اليه اضافة حق ، ولا يدل على انه غير مقدور لله تعالى وانه واقع بغير مشيئته و قدرته ، فاذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق الى حق الاخرى فانما يدل على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة من عموم قدرة الله و مشيئته لجميع ما فى الكون من الاعيان والافعال وان العباد فاعلون لافعالهم حقيقة وانهم يستوجبون عليها المدح والذم)** .

وقال بعضهم ان الجمهور قد حلوا المشكلة على اساس نفسى منطلق من الشعور بعدم اغفال ما يحسه الانسان فى نفسه من ارادة وقدرة على الاعمال الاختيارية من جهة وعدم اغفال الايمان بأن الله خالق كل شئ من جهة اخرى .[4]

---

(١) علم الكلام ١٤٩ ، اصول الدين الاسلامى ١٥٧-١٥٨ ، انظر قول ابن عمر والامام الشورى فى ذلك وانظر ايضا ١٦٦ .

(٢) علم الكلام ١٣٩ .

(٣) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٢٧٨-٢٧٩ .

(٤) علم الكلام ١٥٠ و ١٥٢ . دراسات فى الفرق ٢٧١ .

وهذا هو الراجح و المأثور عن اغلب العلماء[1] ومما يزيده قبولا وتصورا ان الفلاسفة عبروا عن موقف الانسان (الوسط) بأنه حرفي عالم من القيود، وبأنه أمر بين أمرين ، وبأنه مجبور مختار ، وبأنه منزلة بين المنزلتين ،اى انه حر من حيث ان افعاله ليست شبيهة بفعل الطبيعة التى هى جبر محض، وهو مجبور من حيث ان افعاله ليست اختياريا محضا كأفعال الله ، بل هو قادر من جهة ومخلوق من جهة اخرى ، وكونه مخلوقا يمنعه من الاستقلال التام بالفعل لانه يستمد من الله وجوده (اولا)وقدرته على الفعل (ثانيا)وبهذا الاعتبار ايضا صح اسنادالفعل الى الله والانسان معا ومن غير تناقض فالفعل كما يقول الامام ابن تيمية وغيره:يقع بقدرة الله خلقا وتكوينا كما وقعت سائر المخلوقات بقدرته وتكوينه وبقدرة العبد سببا ومباشرة .[2]

الايمان بالقضاء و القدر لا يلغى الاخذ بالاسباب

وبعد كل الذى ذكرناه فى (مسألة القضاء والقدر) لم يقل احد من المسلمين بأن الايمان بالقضاء والقدر بنا فى الاخذ بالاسباب ووجوب العمل والسعى فى الارض على الوجه الصحيح : فقد قال تعالى:(فامشوا فى مناكبها وكلوامن رزقه واليه النشور) الملك ١٥١، وقال تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) البقرة/١٩٥. وقال تعالى : (وجاهدوا بأموالهم و انفسهم فى سبيل الله)الانفال/٧٢.وقال تعالى:(خذو حذركم) النساء/٧١ .

وعن ابى خزامة قال : قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها و دواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال : (هى من قدر الله)[3] وعن انس بن مالك -رضى الله عنه- انه قال : (جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول الله ادعها واتوكل ؟ فقال ﷺ : اعقلها و توكل .[4]

(١) دراسات فى الفرق ٢٦٨ و ٢٧٢ . وفيه كلام ابن رشد والعقاد اخيرا ، انظر ايضا اصول الدين الاسلامى ١٦٣-١٦٤ عن كتاب مناهج الادلة ١١٨/ ١٢٠ .

(٢) دراسات فى الفرق ٢٧٢ ،عن موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية بهامش منهاج السنة ١/ ٤١ .

(٣) نيل الاوطار ٨/ ٢٢٥ ، وفيه رواه احمد وابن ماجه و الترمذى وقال حديث حسن ولا يعرف لابى خزامة غير هذا الحديث .

(٤) الجامع الصغير ١/ ٧٨ و فيه رواه الترمذى عن انس وهو ضعيف وفى المغنى عن حمل الاسفار ٤/ ٢٧٢ ، وفيه رواه الترمذى من حديث انس قال يحيى القطان منكر. ورواه ابن خزيمة فى التوكل والطبرانى من حديث عمرو بن امية الضمرى باسناد جيد .

فالايمان بالقضاء والقدر والتوكل على الله تعالى لا يمنع الاخذ بالاسباب كما قلنا وعلى ذلك فلا كسل و لا تواكل ولكن عمل وجد واجتهاد .[1]

المبحث الخامس

التحسين والتقبيح العقليان

اتفقت كلمة الفرق الاسلامية على ان من بلغتهم شرائع الرسل فمقياس (الحسن والقبح) للافعال بالنسبة لهم هو ما ورد فى شريعتهم لا ما تدركه عقولهم فما امر به الشارع فهو حسن ومطلوب فعله و يثاب فاعله ، وما نهى عنه الشارع فهو قبيح ومطلوب تركه و يعاقب فاعله .[2]

ووجه ذلك ، انهم متفقون على ان لاحكم الا لله مصداقا لقوله تعالى : (ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) الانعام /٥٧ .

ولكنهم اختلفوا بالنسبة لمن لم تبلغهم شرائع الرسل[3] او فيمن بلغتهم الدعوة لولم يوجد حكم .[4]

اختلفوا فى ذلك على ثلاثة اقوال :

القول الاول : الحسن والقبح فى الافعال (عقليان لا شرعيان)[5]، ولا حاجة الى بيان الشرع لذلك ، وهذا قول المعتزلة[6] لما يأتى :

أ- ان حسن الافعال وقبحها (لذاتها) تدركه العقول بناء على ما تدركه من نفعها او ضررها .

ب- ان حكم الله لا بد ان يكون على وفق حكم العقل فان ما ادرك العقل حسنه فهو المطلوب لله فعله و ما ادرك العقل قبحه فهو مطلوب لله تركه .[7]

(١) انظر نيل الاوطار ٢٢٥/٨ وما بعدها ، اصول الدين الاسلامى ١٥٨ ، رسالة فى التوحيد ١٢٤ .

(٢) علم اصول الفقه ص ١١٢ .

(٣) علم اصول الفقه ١١٢ .

(٤) الحكم ، عبارة عن خطاب الشارع المتعلق بافعال المكلفين ، فان كان على سبيل الحتم فعلا فهو الايجاب ، وان كان سبيل الحتم تركا فهو التحريم ، ان لم يكن هذا ولا ذلك بأن يقول للشارع ان شئتم اتركوه فهو الاباحة .

(٥) حسن الافعال وقبحها عند علماء اصول الفقه والمتكلمين ١٤٣ .

(٦) العقل عند الشيعة الامامية ١٤١ .

(٧) انظر : علم اصول الفقه ١١٠-١١١ حسن الافعال و قبحها ١٤٥ ، العقيدة الاسلامية ٧٩ .

و بعبارة اخرى قال المعتزلة بالتلازم بين حكم العقل و حكم الشرع فما يحكم به العقل يحكم به الشرع لا محالة وما يحكم به الشرع يحكم به العقل كذلك .

وعلى هذا المذهب يكون الانسان مكلفا من الله بفعل ما يهديه عقله الى انه حسن ، ويثاب من الله على فعله ، ويترك ما يهديه عقله الى انه قبيح و يعاقب من الله على فعله ، وان لم تبلغه دعوة الرسل [١] وهؤلاء يشبهون ما ذهب اليه كثير من علماء الاخلاق من ان مقياس الخير و الشر هو ما يدركه العقل فى الفعل من نفع او ضرر ، بهذا قال كثير من فلاسفة اليونان وبعض اديان الهند بل لقد غالى فريق من البراهمة وقالوا لا حاجة لارسال الرسل اكتفاء بما تدركه العقول وقالوا ان ما اتى به الانبياء لا يخلو اما ان يكون موافقا للعقل ففى العقل غنية وكفاية او مخالفا له و ذلك ما يوجب ان يرد عليهم وان لا يقبل منهم [٢] .

القول الثانى : ان الحسن والقبح فى الافعال (شرعيان) لا (عقليان) فالشرع وحده هو الذى يعين الفعل ، وهو قول الاشاعرة وبعض العلماء .[٣]

أ- فان الافعال ليس فيها ماهو حسن لذاته عقلا ولاما هو قبيح لذاته عقلا.

ب- ان الحسن من الافعال ما حسنه الشرع والقبيح منها ما قبحه بحيث لو اتى الشرع بتحسين فعل يرى العقل قبحه لكان ذلك الفعل حسنا ، ولو اتى بتقبيح فعل يرى العقل حسنه لكان ذلك الفعل قبيحا . [٤]

فالعقول عندهم لا يمكن ان تكون اساسا فى التحسين والتقبيح لانها تختلف اختلافا بينا فى الافعال و بعضها يستقبحها بل ان عقل الشخص الواحد يختلف فى الفعل فيكون التحسين او التقبيح بناء على الهوى . [٥]

على هذا المذهب لا يكون الانسان مكلفا من الله بفعل شئ او ترك شئ الا اذا بلغته دعوة الرسل ، لا يثاب ولا يعاقب الا اذا علم ذلك من طريقهم . و لذلك حكم

---

(١) علم اصول الفقه ١١٠-١١١ .

(٢) العقل عند الشيعة الامامية ١٤١-١٤٢ .

(٣) علم اصول الفقه١٠٩، العقل عند الشيعة الامامية ١٤٢ ،العقيدة الاسلامية والاخلاق ٧٩ ،حسن الافعال وقبحها١٤٣

(٤) العقيدة الاسلامية ٧٩ .

(٥) علم اصول الفقه ١٠٩ ، العقل عند الشيعة الامامية ١٤١٠- ١٤٢ .

هؤلاء على من لم تبلغه دعوة الرسل -كاهل الفترة- بأنهم غير مكلفين و قالوا انهم لا يثابون و لا يعاقبون . و يؤيد هذا المذهب قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الاسراء /١٥ . [١]

وهذا المذهب الذى يعتبر الشرع اساس الحكم (بالتحسين والتقبيح) لا العقل يتفق وما ذهب اليه بعض علماء الاخلاق من ان مقياس الخير و الشر هو القانون فما اوجبه القانون او اباحه فهو خير و ما حظر ومنعه فهو شر . [٢]

القول الثالث (المذهب الوسط) وهو قول الماتريدية والذى رجحه كثير من العلماء [٣] ونرجحه وهو :

١) ان الافعال الاختيارية فيها خواص واثار تقتضى حسنها او قبحها (ذاتيا) وان العقل السليم يستطيع ادراك الحسن فيها و القبيح [٤] حتى ولو لم يعرف حكم الشرع فيها ، فكما يميز بين الحسن و القبيح فى الحسيات ، كذلك يميز فى المعنويات .

فعقل الانسان يستحسن المناظر الطبيعية الجميلة والاصوات الرخيمة و نحوها ، ويستقبح المناظر المشوهة والاصوات المنكرة ونحوهما ، وكذلك يحس اصحاب النفوس العالية ما فى كمال الله تعالى والصفات الانسانية الكريمة من الحسن الذى يرضيها ، وما فى الصفات الانسانية الرذيلة من القبح الذى يؤذيها . [٥]

و ادراك (حسن الافعال و قبحها) على الصورة المذكورة يكون بصفة عامة لا ادراكا تفصيليا . [٦]

٢) ان العقول مهما نضجت قد تخطئ لان بعض الافعال مما تشتبه فيه العقول كما يقول بعضهم . [٧]

و بتفصيل اشمل -ان الناس يختلفون فى ادراك **(حسن الافعال و قبحها)** بصفة

---

(١) و ينظر : علم اصول الفقه ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) المصدر السابق ١٠٩ .

(٣) علم اصول الفقه ١١١ ، العقل عند الشيعة الامامية ١٤٣ .

(٤) المصدر السابق ١١١ .

(٥) العقيدة الاسلامية والاخلاق ٧٩- ٨٠ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) علم اصول الفقه ١١١ .

تفصيلية ودقيقة ، اذ يرى بعضهم حسنا ما قد يراه الآخرون قبيحا ، او يختلف ادراكهم لمعانى الحسن والقبح و درجاتهما فى الافعال او تعجز بعض العقول عن ادراك ما وصلت اليه العقول الاخرى من احكام ولذلك ترى البعض يسيؤون وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .[1]

٣) مما مر يتحصل انه لا يلازم بين ما تدركه العقول وبين حكم الله ولا بد لمعرفة حكم الله تعالى من ارسال الرسل و انزال الكتب ، [2] و بعبارة اخرى لا بد من دور الشرع فى بيان (حسن الافعال و قبحها) لما يأتى :

أ- ان الشرع يبين ما يجب على الناس من المعرفة بالله و صفاته على الوجه الذى يريده و بقدر ما يحتاجون اليه و يستطيعون ادراكه من ذلك يبين الطرق التى يصح ان يسلكها الانسان للوصول الى المعرفة .

ب- ان الشرع يبين ما يعجز العقل البشرى عن معرفته من ضروب العباد و احوال الآخرة و نحوهما .

ج- إن الشرع يبين القبح و الحسن فى بعض الافعال التى لا يدرك العقل حسنها او قبحها ، وكذلك يبين لهم ما اختلفوا فيه ، وكذلك الفضائل و الرذائل من الافعال و يحدد لكل منها ثوابه و عقابه ، فمعرفة الفضائل و الرذائل على نحو ما بينها الشرع وما يترتب عليها من ثواب او عقاب ووجوب فعلها او تركها لا يكون الا عن طريق الشرع و ان كان ذلك لايمنع من القول بأن تلك الافعال حسنة او قبيحة فى حد ذاتها ، فالشرع يؤكد ما فيها من الحسن او القبح و لا يبتدعهما ابتداعا[3] ومما مر يظهر لنا ان اصحاب الرأى الثالث قد :

أ-وافقوا المعتزلة فى ان حسن الافعال و قبحها مما تدركه العقول بناء على ما تدركه من نفعها او ضررها .

ب- وخالفوهم فى ان حكم الله لا بد ان يكون وفق حكم العقل ، وفى ان ما أدرك

---

(١) علم اصول الفقه ١١١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) العقيدة الاسلامية و الاخلاق ٨٤-٨٥ .

الفعل حسنه فهو مطلوب لله فعله ، وما ادرك قبحه فهو مطلوب لله تركه ؛ ونراهم ايضا :

أ- وافقوا الاشاعرة فى انه لا يعرف حكم الله الا بواسطة رسله وعلى هذا لا يكون الانسان مكلفا بشئ ولا محاسبا عليه قبل دعوة الرسل اليه .

ب- وخالفوهم فى ان الحسن والقبح للافعال (شرعيان لا عقليان) وفى ان الفعل لا يكون حسنا الا بطلب الله فعله ، ولا يكون قبيحا الا بطلب الله تركه ، لا هذا ظاهر البطل ، فان امهات الفضائل يدرك العقل حسنها لما فيها من نفع وامهات الرذائل يدرك العقل قبحها لما فيها من ضرر ولو لم يرد شرع .[1]

هذا و خلاصة موضوع (التحسين والتقبيح العقليان) وقد اطال بعض الباحثين فى هذا الموضوع بذكر ادلة كل فرق و الاعتراض عليها من الاخرين مما لا مجال لبحثه[2] وفيما ذكرناه كفاية .

المبحث السادس
النبوة العامة

وفيه مطالب :

١) تعريف النبوة و بيان حاجة البشر اليها .

٢) مناقشة منكرى النبوات .

٣) اختيار الانبياء و بشريتهم و مهامهم والايمان بهم .

المطلب الاول
تعريف النبى والرسول و بيان حاجة البشر الى الرسالة :

١) تعريف النبى والرسول :

أ- النبى و الرسول فى اللغة : النبى مشتقة من النبوة اوالنباوة وهى الارتفاع،لأن النبى أرفع منزلة ومكانة من غيره [3]

(١) علم اصول الفقه . (٢) انظر كتاب : (العقل عند الشيعة الامامية) بحث حسن الافعال و قبحها عند علماء اصول الفقه و المتكلمين ، الاحياء ١١٣/١ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ٩٤ و مابعدها .

(٣) ابن منظور / لسان العرب مادة (نبأ) و الزجاجى / اشتقاق اسماء الله الحسنى ص ٥٠٤ والدكتور رشدى عليان و قحطان عبدالرحمن / اصول الدين ص ٢٠٢ .

أو هي مخففة من (النبيء) اى المخبر عن الله تعالى .

والرسول ، مأخوذ من الرسل ، وهوالقطيع من الابل المتتابعة فالرسول هو الذى يتابع اخبار الذى بعثه ، او يتتابع عليه الوحى .[1]

ب- النبى والرسول فى الاصطلاح :

المشهور فى تعريف النبى : انه انسان أوحى اليه بشرع سواء امر بتبليغه والدعوة اليه ام لا . والرسول : انسان أوحى اليه بشرع و امر بتبليغه . فيكون الفارق بينهما الامر بالتبليغ و عدمه ، ويكون نبيا و لا عكس ،[2] يشهد لهذا قول الله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبى ، الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الحج /٥٢ .

فلو كان النبى مساويا للرسول لما عطف عليه لان نفى احد المتساويين يستلزم نفى الآخر .

٢) حاجة البشر الى هدى الرسالة :

وقد سوى بينهما بعض المحققين وعرفوا النبى بأنه : انسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى اليه ، وكذا الرسول ، فلا فرق بينهما [3] و الاول ارجح .

قد يصل مستدل الى معرفة الله بعقله ، و قد يصل الى ان يعرف الخير من الشر ، ويميز الفضيلة من الرذيلة ، ويصون نفسه من الانحراف و الضلال ،كما حدث لبعض من سمت عقولهم ، وصفت نفوسهم من مثل : أخناتون فى مصر الفرعونية ، و زرادشت فى فارس ، وكثير من فلاسفة اليونان ، كأرسطو ، و فيثاغورس ، و سقراط ، وافلاطون .[4]

وقد تدرك النفس الانسانية بطريق الالهام أنها باقية بعد مفارقة البدن ، وان لها حياة اخرى غير هذه الحياة الدنيا ، تتمتع فيها بنعيم ، او تشقى فيها بعذاب اليم ،

---

(١) ابن منظور / لسان العرب مادة (رسل) .

(٢) القدسى / المسامرة بشرح المسايرة ص ٢٣١ ، القاضى عياض / الشفا ج١ ص ٢٥١ .

(٣) الماوردى / اعلام النبوة ص ٣٨ .

(٤) د . رشدى عليان و قحطان الدورى / اصول الدين الاسلامى ص ١٧٣- ١٧٦ .

وتدرك ان السعادة و الشقاء فى تلكم الحياة الباقية ، مقرونان بأعمال الانسان فى هذه الحياة الفانية ، سواء أكانت تلك الاعمال قلبية كالاعتقادات ، او بدنية كانواع العبادات .[١]

وقد تصل امة من الامم او قوم من الناس ، الى ان يضعوا لانفسهم شريعة ينزلون على احكامها فى معاملاتهم ، وفيما يشجر بينهم من خلاف ، و يجعلون فيها من الجزاء و العقوبات ما يردع من يريد انتهاكها او الانحراف عنها .[٢]

ولكن ... لما كان ذلك ليس حالا لعامة الناس ، وانما قد يتيسر لبعض من اختصهم الله بكمال العقل ، ونور البصيرة وان لم تبلغه دعوة نبى ، ولو بلغته لكان اسرع الناس الى اتباعه وحتى هؤلاء قد لا يعرفون يقينا الخير من الشر دائما ، وقد يصلون بعقولهم من وجه غير ما يليق فى الحقيقة ان ينظر منه الى الجلال الالهى ، ولما كانت حاجات الانسان غير محدودة ، ومعيشته غير مختصة بيئة من البيئات وكان ما وهب له من القوى الادراكية مختلفا باختلاف اجناسه و شعوبه واشخاصه اختلافا لا تنتهى درجاته ، فما يعد مصلحة عند طائفة من الناس ، قد يعد مفسدة عند طائفة اخرى ،وما يعد فضيلة عند جماعة قد يعد رذيلة عند جماعة اخرى .

فلو ترك التشريع والتقنين لعقول البشر لاختلط عليهم الامر فى معرفة الخير و الشر فى معاملة بعضهم بعضا ، ولما امكن التمييز بين الحسن و القبيح ، والفضيلة و الرذيلة .

فمثلا : فى الوقت الذى يرى فيه الرأسمالى باخلاص ، ان الحضارة البشرية مهددة بالزوال اذا حلت الاشتراكية محل الحرية الاقتصادية ، يرى الاشتراكى باخلاص لا يقل عن اخلاص الاول ، انه لا يوجد سوى وسيلة واحدة لصيانة الحضارة البشرية ، وهى الغاء النظام الرأسمالى واحلال النظام الاشتراكى محله .[٣]

مع ان الجميع متفقون على ان من الاعمال ما هو حسن ، ومنها ماهو قبيح ، من

---

(١) محمد عبده / رسالة فى التوحيد ص ٧٢ و ٨٩ و ٩٠ .

(٢) د . محمد يوسف موسى / الاسلام وحاجة الانسانية اليه ص ١٢١ -١٢٢ .

(٣) محمد اسعد / منهاج الاسلام فى الحكم ص ٢٣ .

عقلائهم واهل النظر الصحيح والفكر المعتدل منهم من يمكنه اصابة وجه الحق فى معرفة ذلك ، ولكنهم يختلفون فى النظر الى كل عمل بعينه ، نتيجة اختلاف امزجتهم ومناشئهم .

فالعقل البشرى وحده ليس فى استطاعته ان يبلغ بصاحبه ما فيه سعادته فى هذه الحياة اللهم الا فى القليل النادر .[1]

ثم ان مراتب الاخلاق متفاوتة عند البشر لتفاوت استعداداتهم واختلاف اصنافهم و بيئاتهم ، فلو ترك البشر لعقولهم لما استطاعوا تكملة اخلاقهم وتزكية نفوسهم .

و ايضا فان من احوال الاخرة ما لا يمكن لعقل بشرى ان يصل اليه ، وهو تفضيل اللذائذ والآلام ، وطرق المحاسبة على الاعمال و لو بوجه ما .

والنفس البشرية تتطلع دائما الى اكتشاف المجهول ، ومعرفة المغيبات ، وبناء على ذلك لا يوجد ما يمنعها من معرفة نوع الحياة الاخرى على سبيل التفصيل ، وبين ادراك النفس لوقائع الحياة الدنيا ، وتطلعها الى معرفة كيفية الحياة الاخرى ، تظل النفس فى تنازع مستمر ، ولا نجاة من التنازع الا بخبر يقينى ، بما أعد فى الحياة الاخرى .[2]

لذلك كله كان العقل البشرى محتاجا فى قيادة القوى الادراكية البدنية الى ما هو خير له فى الحياتين ... الى معين يستعين به فى بيان وجه الاعتقاد بالله و صفاته ... وتحديد انواع الاعمال ، وبيان النافع منها و الضار ، وبيان ما ينبغى ان يعرف من الحياة الاخرى .

وبالجملة فان العقل البشرى بحاجة الى من يعينه فى تحصيل وسائل السعادة فى الدنيا و الآخرة .[3]

وهذا المعين يجب ان يكون ممن صفت نفوسهم ، وزكت فطرتهم ، بحيث يصيرون

---

(١) اصول الدين ص ١٧٥ والشيخ عبدالكريم المدرس / الرسيلة ص ٦٨٨- ٦٩٢والدكتور احمد الشلبى/مقارنة الاديان ، الاسلام ص ٩٩-١٠٢ .

(٢) لجنة من اساتذة قسم العقيدة والفلسفة بكلية اصول الدين ، الازهر / العقيدة الاسلامية والاخلاق ص ٩٢ .

(٣) اصول الدين ص ١٧٦ .

على استعداد لتلقى العلوم والمعارف من واهب الوجود ، والاطلاع على ذلك المغيب الذى لم يصل اليه افراد النوع الانسانى ، والعلم بما سيكون من شأن الناس فيه ، ومن ثم تبليغ بقية افراد النوع بما يلزمهم فى حق خالقهم ، وبما له مدخل فى سعادتهم الاخروية ،وذلك كله بواسطة الشرائع والاديان التى تحدد لهم سيرهم فى تقويم نفوسهم .

ويجب ان يكون هذا المعين من جنس البشر ، حتى يفهموا منه او عنه ما يقول ، وما يأتى به من عند ربه ، وهذا المعين هو النبى او الرسول : (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) آل عمران/ ١٦٤ .

ومن البديهى ان الرسل يكونون مؤيدين بما تقوم به الحجة عند المعاندين ، مما لا يدخل تحت مقدور البشر ، وبهذا تقوم الحجة ، و يتم الاقتناع بصدق الرسالة ، فيكونون بذلك رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

المطلب الثانى

مناقشة منكرى النبوات

النتيجة التى خرجنا بها من مبحثنا السابق هى :

ان الانسان لا يستطيع ان يكتفى بعقله و ضميره فى كل شئ مما ينبغى له ان يعرفه مما يتعلق بالله و صفاته ، وما لابد منه من شرائع لتنظيم حياته الاولى و صلاح امر المجتمع فيها .

وحياته الاخرى وما يكون فيها من نعيم مقيم ، او عذاب اليم .

ومن هنا كانت الحاجة العقل الانسانى الى معين يستعين به فى ادراك ما يعجز عن ادراكه من ذلك ضرورة انسانية ومع ذلك فقد ذهب قوم من الناس الى القول بعدم حاجة البشر الى هدى النبوة ووحى الرسالة، زاعمين ان الانسان يستطيع أن يقوم وحده ، وان يكتفى بعقله فى تنظيم حياته ، و تلبية حاجياته . و الذاهبون الى ذلك فريقان :

* **فريق ينكر** النبوات والرسالات السماوية ، لانه ينكر الاله -تعالى- ولا يعترف بوجوده ، ومن البديهى ان من ينكر المرسل وينفى و جوده لابد ان ينكر المرسل ، ولا

يعترف بهديه .[1]

وقد عرف هؤلاء في التأريخ باسم الملحدين او الماديين ، ووجد منهم جماعات في كل زمان و مكان ، ومع ذلك لم يستطيعوا ان يؤثروا في الرأي العام الانساني ، ولا ان يحرفوه عن فطرته ، فبقي الانسان مؤمنا بالله ، مستنيرا برسالاته ، مستهديا بأنبيائه في دروب الحياة المظلمة ، وظل الملحدون في جهلهم يعمهون .

ومناقشة هذا الفريق لا تكون في اثبات النبوات ، وبيان مدى حاجة البشر الى هديها ، وانما تكون في البرهنة على وجود المبدع الاول ، والخالق الاعظم ، ومحل ذلك مبحث الالهيات .

* **الفريق الثاني** : يعترف بوجود الله -تعالى- ويؤمن به ، ولكنه ينكر النبوات و الرسالات السماوية ، مكتفين بما تدركه عقولهم من خير او شر ، زاعمين ان بعث الرسل مناف للحكمة فلا يقع من الحكيم .

وعلى رأس هذا الفريق براهمة الهند [2] والصابئون [3] وبعض الفلاسفة وقد استدل هؤلاء على وجهة نظرهم بجملة ادلة ، نورد اهمها ، ونبين تهافتها ، وبعدها عن الحق و الصواب ، فيما يأتي :[4]

١) قالوا : ان ما يأتي به الرسول لا يخلو ، اما ان يكون مما يعرفه العقل ، او مما لا يعرفه ، فان جاء بما يعرفه العقل ، كان لا فائدة منه ، ولا حاجة فينا اليه ، ويكون في العقل غنية و كفاية ، وان جاء بما لا يعرفه العقل ، كان جديرا بان لا يتلقى بالقبول

---

(١) اصول الدين الاسلامي ص ١٧٧ .

(٢) البراهمة : نسبة الى (برهم) وهو اسم الله في اللغة السنسكريتية . وهو عندهم الاله الموجود بذاته ، لا تدركه الحواس و يدركه العقل. وهو مصدر الكائنات كلها لا حد له ، وهو الاصل الازلي الذي يستمد منه العالم وجوده ، والبرهمية (الهندوسية) دين توحيد من جهة و دين تعدد من جهة اخرى ، و تظهر فيها عقائد بدائية كعبادة قوى الطبيعة ، وعبادة الاجداد ، وعبادة البقر بشكل خاص . انظر الدكتور احمد شلبي / اديان الهند الكبرى ص ٤٩-٩٤ . والفصل الثاني في الملل و النحل لابن حزم ج١ ص ٦٩ ، والملل و ا لنحل للشهرستاني ج١ ص ٤٦ و الدكتور رشدي عليان و سعدون الساموك / الاديان / ص ٨٧ .

(٣) الدكتور رشدي عليان / الصابئون : حرانيين و مندائيين ص ١٠٣ .

(٤) اصول الدين الاسلامي ص ١٧٧-١٩٩ .

، لان القبول هو الذى تدركه العقول .

و أجيب عنه : بأن دليلكم باطل ، لان كل مطلع على الرسالات السماوية يجد انها قد اشتملت على ما يعرف بالعقل ، وعلى ما لا يعرف به .

فأما ما يعرف بالعقل ، فكان لهذه الرسالات مهمة التوكيد عليه والالزام به ، وفى ذلك دعم لمكانة العقل ، وتعبير عملى عن اهميته فى بناء الحياة .

وأما ما لا يعرف بالعقل -وهو الاكثر- فان للرسالات السماوية دور ارشاد العقل اليه ، وتنبيهه على ما فيه النافع الصالح ، ووضع الحلول المناسبة لما يصادف الناس من مشاكل الحياة المتجددة و شؤونها المعقدة .

٢) قالوا : ان الله -عزوجل- حكيم ، ومن يبعث رسولا الى من يعلم انه يكفر به ولا يصدق رسوله ، بل يعصيه ويؤذيه يكون عابثا ، فوجب نفى بعث الرسل عن الله ، لنفى العبث عنه .

وأجيب عنه : بأنه يترتب على دليلكم جواز بعث الرسل الى من يعلم قبوله منهم ، وانتفاعه به ، كما يترتب عليه ان لا يحتج الله -تعالى- بالعقول ، وما وضعه فيها من الادلة على من يعلم انه يجحدها ولا يستدل بها ، فان قالوا :

قد استدل بالعقول كثير ، واهتدى بهديها كثير .

قلنا : وقد صدق بالرسل كثير ، اهتدى بهديهم كثير فما المانع من ان يحتج الله على عباده بواحد منهم يرسله اليهم : (يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة) الجمعة / ٢ . ننون المعرفة .كما احتج عليهم بالعقل ، وجعله مصدرا للمعرفة .[1]

٣) وقالوا : ان كان الغرض من ارسال رسول هو استحقاق العقاب بالفكر والمعصية ، فبامكاننا ان ننظر فى آيات خلقه بعقولنا ، ونشكره لنعمائه علينا .

واذا عرفناه و شكرناه كنا اهلا لثوابه و نعمه، واذا انكرناه و كفرنا بنعمائه كنا جديرين بعقابه ،و على هذا فلا مبرر لبعثة الانبياء .

واجيب عنه : بأن العقول البشرية -مهما بلغت من السمو والرفعة والكمال- لا يمكنها الاهتداء الى حقيقة الايمان و شرائطه ، والمعارف ووجوه الطاعات ، وما هو

(١) الباقلانى / التمهيد ص ١٠٤-١٠٦ .

اللائق فى مقام شكره من دون بيان من الله ، على لسان رسله .

و أدل دليل على هذا : (ما نراه قبل الرسالات الالهية من الضلال الذى شمل العالم فى ذلك الزمان القديم ، بل ما نراه بعد ان خفت صوت الرسل ، وضاعت معالم الرسالات الماضية الى قبيل رسالة خاتم الانبياء والمرسلين ، اذ كان الناس - كما نصرف - يعبدون ما شاؤوا من حجر او شجر ، وما ينحتون من تماثيل و اصنام . و يؤلهون بعضا منهم ، ويستذل بعضهم بعضا) .

بل ان المصريين القدامى مع عبقريتهم العلمية ، كان منهم من ألّه الفراعنة ، وعبد العجل .

وكذلك كان اليونان الاقدمون ، مع عبقريتهم ايضا فى الفلسفة والعلم ، وثنيين .

ومثلهم الرومان القدامى ، مع حظهم الموفور من الفلسفة والاخلاق والقانون .

فكيف غير هذه الامم الراسخة الاقدام فى التفكير تلك الامم التى حرمت الاستعداد العقلى والفكرى .[1]

٤) قالوا : أن مما يبطل النبوة هو انا وجدنا المدعين لها يستدلون على صدقهم بمستحيلات عقلية ، مثل : فلق البحر ، وخلق ناقة من صخرة ، وقلب العصا حية ، واحياء الموتى ، وابراء الاكمه و الابرص ، والمشى على الماء ، وانطاق الذئب و الحصا ... ونحو ذلك ، ولما كانت مثل هذه الامور محالة ممتنعة فى العقل بطل ما يدعونه .

و أجيب عنه : بأن امتناع مثل هذه الامور -فى نظركم- أما ان يكون فى قدرة الصانع -عزوجل- او فى العادة .

فان قالوا : انه ممتنع فى قدرة الصانع ، فقد الحدوا ، وتركوا دينهم ، لان المفروض انهم يؤمنوا باله ، ومن صفات هذا الاله القدرة : (فعال لما يريد) هود /١٠٧ ، (وما كان الله ليعجزه من شئ) فاطر/٤٤ .

وان قالوا : بل ذلك ممتنع فى العادة قلنا لهم : وما المانع من ان ينقض الله العادات ويظهر المعجزات على ايدى رسله كبرهان ساطع ، ودليل قاطع على صدقهم وصحة دعواهم ، هذا وقد برهن الامام محمد عبده على ان حدوث مثل هذه الافعال

(١) الدكتور محمد يوسف موسى / الاسلام وحاجة الانسانية اليه ص ١٢٣ .

-وهو ما يسمى بالمعجزة-ليس من نوع الممتنع عقلا وفى ذلك يقول : (المعجزة ليس من نوع المستحيل عقلا ، فان مخالفة السير الطبيعى المعروف فى الايجاد مما لم يقم دليل على استحالته ، بل ذلك مما يقع كما يشاهد فى حال المريض يمتنع عن الاكل مدة لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات ، مع وجود العلة التى تزيد الضعف وتساعد الجوع على الاتلاف) .

فان قيل : ان ذلك لا بد ان يكون تابعا لناموس اخر طبيعى .

قلنا : إن واضع الناموس هو موجد الكائنات ، فليس من المحال عليه ان يضع نواميس خاصة بخوارق العادات ، غاية ما فى الامر أننا لا نعرفها ، ولكننا نرى آثارها على يد من اختصه الله بفضل من عنده ، على اننا بعد الاعتقاد بأن صانع الكون قادر مختار يسهل علينا العلم بأنه لا يمتنع عليه ان يحدث الحادث على اى هيئة ، وتابعا لاى سبب اذا سبق فى علمه ان يحدثه كذلك .

فالمعجزة لابد ان تكون مقرونة بالتحدي عند دعوى النبوة ، وظهورها من البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يده ، لان النبى يستند اليها فى دعواه انه مبلغ عن الله ، فاصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدا منه له فى تلك الدعوى . ومن المحال على الله ان يؤيد الكاذب ، فان تأييد الكاذب تصديق له ، وتصديق الكاذب كذب ، وهو محال على الله .

فمتى ظهرت المعجزة وهى مما لا يقدر عليها البشر ، وقارن ظهورها دعوى النبوة ، علم بالضرورة ان الله ما اظهرها الا تصديقا لمن ظهرت على يده ، وان كان هذا العلم قد يقارنه الانكار مكابرة .[1]

٥) وكما قيل قديما ، ان الانسان يمكنه ان يكتفى بعقله فى تنظيم شؤونه الحياتية ، وتلبية متطلباته الضرورية فقد قيل حديثا : ان الانسان يمكنه الاكتفاء بالعلم فى تنظيم حياته و تأهيله بمؤهلات السعادة .

نجيب عنه : بأننا لا ننكر قيمة العلم و اهميته فى حياة الناس فهو رائد الحضارة و باعث النهضة ... قدم و يقدم الكثير جدا من الخدمات الهامة للبشرية

(١) رسالة التوحيد ص ٨٠ .

ولكننا نقول : ان العلم وحده لا يكفى فى اسعاد البشرية ، وتنظيم كافة شؤونها و متطلباتها ، فبالرغم من ازدهاره ، واتساع افقه ، وعظمة معطياته فهو لا يزال فى المهد صبيا ، ينقصه الكثير والكثير جدا ليبلغ دور النضج والكمال حتى يقال : انه يستطيع وضع نظام شامل و قانون كامل للحياة الانسانية ، فهو لا يزال -باعتراف اقطاب العلم و قادة الفكر- عاجزا عن استنكاه الكثير من اسرار الكون والغاز الحياة ، ثم ان اغلب ارائه ظنية تقريبية ... فما كان ثابتا بالامس صار اليوم مشكوكا فيه ، او بين الخطأ والاشتباه .

قال الدكتور بول كلارنس ابرسول [1] :

(لقد كنت عند بدء دراستى للعلوم شديد الاعجاب بالتفكير الانسانى ، وبقوة الاساليب العلمية الى درجة جعلتنى أثق كل الثقة بقدرة العلوم على حل اية مشكلة فى هذا الكون ، بل على معرفة منشأ الحياة والعقل و أدرك معنى كل شئ . و عندما تزايد علمى و معرفتى بالاشياء من الذرة الى الاجرام السماوية ومن الميكروب الدقيق الى الانسان ، تبين لى ان هناك كثيرا من الاشياء التى لم تستطع العلوم حتى اليوم ان تجد لها تفسيرا او تكشف عن اسرارها النقاب) .

وقال العلامة انشتاين :

(العلم يخبرنا بما هو كائن ولكن الوحى وحده هو الذى يخبرنا بما ينبغى ان يكون) .

ثم ان التقدم العلمى لا يحقق للبشرية امنها و سعادتها ما لم يصحبه تقدم خلقى ، وسمو نفسى ، و تذهيب للغرائز ، وكبح للشهوات ، وحب للانسانية ، وشعور بالواجب تجاهها والتضحية من اجل خيرها و سعادتها .

وواضح ان تمتع الافراد بهذه الصفات والمعانى ، وشيوعها فى المجتمعات البشرية ليس من مهام العلوم و مستلزماته ، بل هو -على التحقيق- من نتائج الوحى الالهى ، و آثاره .

---

(١) استاذ الطبيعة الحيوية ، مدير قسم النظائر والطاقة الذرية فى معامل (اوك ريدج) عضو جمعية الابحاث النووية والطبيعية النووية ، انظر : جون كلوفر مونسما / الله يتجلى فى عصر العلم ص ٣٦ .

قال الأستاذ الدكتور كريس موريسون : [1]

(ان تقدم الانسان من الوجهة الخلقية و شعوره بالواجب ، انما هو أثر من آثار الايمان بالله والاعتقاد بالخلود ، وان غزارة التدين لتكشف عن روح الانسان وترفعه خطوة خطوة ، حتى يشعر بالاتصال بالله ... ان الوقار ، والكرم والنبل ، والفضيلة والالهام ، وكل ما يسمى بالصفات الالهية ، لا تنبعث عن الالحاد او الانكار الذى هو مظهر مدهش من مظاهر الفرد ، الانسان فى مكان الله ، وبدون الايمان فان المدنية تفلس و كأن النظام ينقلب فوضى ، وكان كل ضابط وكل كبح يضيع ، وكأن الشر يسود العالم . ومن الملاحظ ان التقدم العلمى -الذى حقق للبشرية معجزات كثيرة لم تكن بها من قبل- لم يرافقه ارتقاء خلقى) .

بل على العكس نلاحظ ان الامم المتقدمة علميا و حضاريا تعانى من أزمات خانقة فى الدين و الاخلاق ، فنراها سادرة فى غيها ، غارقة فى مستنقع الشهوات و الآثام ، وقد آثر افرادها الاباحية و الشذوذ الجنسى ، وعيش العرى ، و تنافست حكومات تلك الامم فى ابتكار الاسلحة المبيدة للنوع البشرى ، وتفننت فى استعباد الامم الضعيفة و ابتزاز خيراتها .

وهذا مما يؤكد ما قلنا من عجز العلم بمفرده عن تحقيق سعادة البشر و تنظيم شؤونها الحياتية ، وحاجته الماسة جدا الى الفكر الروحى الذى هو أثر من آثار الايمان والوحى .[2]

قال العلامة فلامريون :

(ان من التناقض البين ان الرقى الذى حصل فى العلوم مما لا مثيل له فى التأريخ ، وان هذه الفتوحات المتوالية التى تمت للانسان فى الطبيعة ... بينما رفع هذا عقولنا الى الدرجات العالية ، أهبط انسانيتنا الى أخس الدركات ، ومن المحزن ان نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا يوما بعد يوم ... تنطفى حرارة قوتنا و تنصرم زهرة حياتنا

---

(١) الرئيس السابق لاكاديمية العلوم بنيويورك ، زميل فى المتحف الامريكى للتأريخ الطبيعى ، انظر : كتابه القيم : الانسان لا يقوم وحده . والذى ترجم تحت عنوان : (العلم يدعو للايمان) ص ٢٠٥ .

(٢) اصول الدين الاسلامى ١٨٩.

القلبية بتأثير المطامع المادية و الشهوات الجسدية .

وعلى تقدير ان العلم بعد نضوجه و بلوغه مرحلة الكمال ان يضمن للبشرية سعادتها فى هذه الحياة الدنيا ، فأنه من المؤكد انه لن يهيمن على النفس البشرية هيمنة النبوة و التشريعات الالهية لذلك يبقى للنبوة سلطانها و دورها الرئيس فى تهذيب النفس وكبح جماحها ، وتوجيهها نحو الحب والخير و السلام ، قال تعالى : (و تعاونوا على البر و التقوى) المائدة / ٢ وقال الرسول ﷺ : (لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) و (لن تنالوا البر حتى تحابوا) و (خير الناس من نفع الناس) .

٦) وكما قيل ان العقل الانسانى والعلم الحديث يغنيان عن هدى النبوة ويمكنان البشرية من العيش فى سعادة وسلام ، فقد قيل : ان النظم والقوانين التى يضعها الانسان من وحى تجربته ، وحاجاته المتطورة تغنى عن هدى النبوة و شرائع السماء و تسد مسدهما فلا حاجة الى البشر فيهما .

و أجيب عنه : بأن هيمنة القوانين الوضعية على النفس البشرية تكون فى الغالب هيمنة ظاهرية فقط ، وامتثال الفرد لهذه القوانين يكون تبعا لذلك امتثالا شكليا يتعين الفرصة للتهرب والانفلات ، واذا ما تم للفرد التلاعب خفية فمن النادر ان يناله القانون ، لان القانون لا يعرف الضمائر و القلوب ، وهناك جرائم مقنعة لا تراها اعين القانون ، ومرتكبوها لا يجدون حرجا فى التمويه ، ولا اسفا على ارتكاب هذه الجرائم ، بل ان كثيرا منهم يتباهى بمقدرته ومهارته على التمويه والانفلات من طائلة العقاب او سلطة القانون .

فى حين ان القوانين الدينية تيسطر على نفسية الفرد المتدين ، وتهيمن على قلبه و مشاعره ، و امتثاله لها يكون امتثالا حقيقيا ظاهرا و باطنا لاعتقاده ان مشرعها (يعلم خائنة الاعين و ما تخفى الصدور) غافر /١٩ .

وان امتثالها سبب الى رضوانه و نعمائه ، وعصيانها باعث على سخطه وعقابه ، فصلاح الفرد المتدين ليس فى سن القوانين و النظم فحسب ، وانما فى تربية النفس ، وانبعاث قوة الضمير ، ليزجر المتدين نفسه بنفسه قبل ان يزجره زاجر خارجى ، وهذا

هو الفرق بين هيمنة القوانين الوضعية و هيمنة القوانين الدينية .

ثم ان احتيال الفرد على مخالفة القوانين الدينية يشكل انفصاما في شخصيته ، وصراعا في ذات نفسه ، لعدم تلاقي عقيدته مع سلوكه ، فيحس بالالم و وخز الضمير والندم عند ارتكابه ما يخالف تعاليم دينه ، حتى وان تمت هذه المخالفة في غياهب الظلام ، او حيث لم يره احد ، ولا يتوقع ان يراه احد ، ولا يقتصر الامر على الندم على العصيان ، او وخز الضمير فهذه في حد ذاته لا يمكن المبالغة في تقدير نوع السلوك ، والا اضحى الانسان منافقا ، وخرج من حيز الايمان الصحيح .

والدين لا يحترم المنافق باي حال ، ويضعه في مرتبة اسفل من الكافر العنيد ، ولا عجب ان يضع القرآن الكريم المنافق : (في الدرك الاسفل من النار) النساء / ١٤٥ .[١]

هذا وقد بين الدكتور دراز في مبحث (وظيفة الاديان في المجتمع) ضرورة وجود قانون ينظم علاقات الافراد ، ويحدد واجباتهم و حقوقهم ، و قرر عجز القوانين الوضعية و العلوم وحدها عن تأمين الحياة الفاضلة للمجتمعات البشرية ، ثم وضح خصائص و مزايا التدين في كفالة احترام القوانين ، وتوجيه الفرد نحو خير المجتمع و صلاحه ، واليك نص كلامه :[٢]

لا حاجة بنا الى التنبيه على ان الحياة في الجماعة لا قيام لها الا (بالتعاون) بين اعضائها ، وان هذا التعاون انما يتم (بقانون) ينظم علاقاته ، ويحدد حقوقه وواجباته ، وان هذا القانون لا غنى له عن (سلطان) نازع وازع ، يكفل سهابته في النفوس و يمنع انتهاك حرماته ، تلك كلها مبادئ مقررة و الحديث فيها معاد مملول .

وانما الشأن كل الشأن في هذا السلطان النازع ، ماهو ؟ فالذي نريد ان نثبته في هذه الحلقة من البحث هو انه ليس على وجه الارض قوة تكافئ التدين او تدانيها في كفالة احترام القانون ، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه ، والتئام اسباب الراحة و الطمأنينة فيه .

السر في ذلك ان الانسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بان حركاته وتصرفاته

---

(١) وينظر الدكتور محمد كمال ابراهيم جعفر/في الدين المقارن ص ٧٩-٨٠ .

(١) -الدين- بحوث ممهدة لدراسة تأريخ الاديان ص ١٠١-١٠٢ .

الاختيارية يتولى قيادتها شئ لا يقع عليه سمعه و بصره ، ولا يوضع فى يده و لا فى عنقه ... وانما هو معنى انسانى روحانى ، اسمه (الفكر و العقيدة) .

ولقد ضل قوم فقلبوا هذا الوضع وحسبوا ان الفكر والضمير لا يؤثران فى الحياة المادية و الاقتصادية ، بل يتاثران بهما .

هذا الرأى قبل كل شئ نزول بالانسان عن عرش كرامته ، ورجوع به القهقرى الى مستوى البهيمية ... ثم هو تصوير مقلوب للحقائق الثابتة المشاهدة فى سلوك الافراد و الجماعات فى كل عصر ، فانه لكى يختار الناس ان يحيوا حياة مادية لا نصيب فيها للتلب و لا للروح ، لا بد ان يقنعوا انفسهم بادئ ذى بدء بأن سعادتهم هى فى هذا النوع من الحياة ، فالانسان مقود ابدا بفكرة صحيحة او فاسدة ، فاذا صلحت عقيدته صلح فيه كل شئ ، وان فسدت فسد كل شئ .

اجل ان الانسان يساق من باطنه لا من ظاهره ، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لاقامة مدينة فاضلة تحترم فيها الحقوق . و تؤدى الواجبات على وجهها الكامل ، فان الذى يؤدى واجبه رهبة من السوط او السجن او العقوبة المالية ، لا يلبث ان يهمله حتى اطمأن الى انه سيفلت من طائلة القانون .

ومن الخطأ البين ان نظن ان فى نشر العلوم والثقافة وحدهما ضمانا للسلام والرخاء ، وعوضا عن التربية والتهذيب الدينى والخلقى ، ذلك ان العلم سلاح ذو حدين : يصلح للهدم و التدمير . كما يصلح للبناء و التعمير ، ولا بد فى حسن استخدامه من رقيب اخلاقى يوجهه لخير الانسانية وعمارة الارض ، لا الى نشر الشر و الفساد ، ذلكم الرقيب هو العقيدة و الايمان ،غير ان الايمان على ضربين :

أ- ايمان بقيمة الفضيلة وكرامة الانسانية ، وما الى ذلك من المعانى المجردة التى تستحى النفوس العالية من مخالفة دواعيها ، لو اعفيت من التبعات الخارجية والاجزية المادية .

ب- وايمان بذات علوية ، رقيبة على السرائر ، يستمد القانون سلطانه الادبى من امرها و نهيها ، و تلتهب المشاعر بالحياة منها ، او بمحبتها او بخشيتها .

ولا ريب ان هذا الضرب هو اقوى الضربين سلطانا على النفوس الانسانية وهو اشدهما مقاومة لأعاصير الهوى وتقلبات العواطف ، واسرعهما فى قلوب الخاصة و العامة .

من اجل ذلك التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة و النصفة ، وكان لذلك ضرورة اجتماعية ، كما هو فطرة انسانية .

كانت هذه اهم ادلة الفريق الذى ينكر النبوات والرسالات الالهية مع ايمانهم بوجود الله -تعالى- واعتقادهم بكل ما يدركه العقل من صفاته الكمالية ، ومع التزامهم بكل ما يمليه عليهم العقل البشرى من سلوك و فضائل ، ومجانبتهم لكل ما يبغضه من شرور و رذائل .

وقد اشرت ايضا الى بعض الشبهات التى يشارك فى ايرادها الماديون كالاستغناء عن هدى النبوة بالعلم و القانون .

وقد اتضح لك ان عقول البشر ليست سواء فى معرفة الله تعالى ، ولا فى معرفة حياة ما بعد هذه الحياة

ولا فى تحديد ما هو خير و شر فى كل نوع من الاعمال فى الحياة الدنيا ، وان العقل ليس فى استطاعته ان يبلغ بصاحبه ما فيه سعادته فى هذه الحياة ، كما لا يستطيع ان يزوده بالمعارف الضرورية عن الحياة الاخرى ، على الرغم من ايمانه بوجودها .

وان العلم والقانون اللذين هما اثر من آثار العقل البشرى لا يكفلان للبشرية سعادتها مالم يعضدهما نور الوحى ، وشرائع السماء .[1]

لهذا قلنا :

ان الانسان لا يستطيع ان يكتفى بعقله وضميره فى كل شئ مما ينبغى ان يعرفه ، وانه بحاجة الى معين يستعين به فى تحديد انواع الاعمال التى تناط بها سعادته فى الارض ، ولا بد ان يكون هذا المعين من بنى جنسه -اى انسانًا مثله- حتى يفهم منه ، او عنه ما يقول ، وذلك المعين هو الرسول .

(١) اصول الدين الاسلامى ص ١٩٥ .

وبالجملة فالرسول فى امته مثال يقتدى به الناس فى كل ما يقوله و يفعله ، ويخلص بهم من ظلمات الجهل الى نور العلم والمعرفة ، وتتم بذلك رسالة الاصلاح والهداية التى جاء بها .

خاتمة

العقل البشرى من اعظم نعم الله علينا ، وانفع القوى واجداها لدينا ميزنا الله -تعالى- به ، وخصنا بوظائفه ، به نميز الخبيث من الطيب ، والخير من قيمته ، بل النقطة الهامة التى تعنينا هنا هى الصدق الموحى بتطابق الشعور مع الشر ، فى حدود ما منحه الله من سلطة ، وماحباه من خصائص ، وما اناط به من وظائف وهو مناط التكليف ، ومدار المثوبة والعقوبة ، وفق ذلك فقد لطف الله بعباده ، فأرسل اليهم رسلا من جنسهم ليكون هذا داعيا قويا لهم لان يؤمنوا بما وصلت اليه عقولهم و ايدته رسله اليهم ، و ليعرفوا الحقائق الاخرى التى يعجز العقل الانسانى عن معرفتها ، فالرسول انما بعث داعيا و متمما لرسالة العقل الانسانى ، والرسالات فضل ورحمة من الله للانسانية جمعاء ، ولولاها لظل الناس فى ضلال ، الا من عصم الله ، وبها تمام الحجة لله على عباده .

(انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح و النبيين من بعده و اوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق و يعقوب والاسباط وعيسى و ايوب و يونس و هارون و آتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما) النساء /١٦٣-١٦٥ .

المطلب الثالث

اختيار الرسل و بشريتهم ومعاصمهم والايمان بهم :

١) النبوة اصطفاء و اختيار :

النبوة فضل وهبة الله لمن يشاء من عباده ، فلا تنال بالكسب و لا بتكلف العبادة وكثرة الطاعات ، ولا تدرك بتهذيب الروح و تصفية النفس ، وتنقية البدن من الرذائل

، ولا بالوراثة و لا اثر للذكاء فيها ، لا تأثير للمجتمع عليها .

قال تعالى : (الله يصطفى من الملائكة رسلا و من الناس) الحج /٧٥ . (ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان أنذروا انه لا اله الا انا فاتقون) النحل /٢ .

٢) بشرية الانبياء :

الانبياء بشر مثل بقية البشر يجوعون و يعطشون ، و يأكلون و يشربون ، و ينامون و يمرضون ، و يفرحون و يحزنون ، و يتزوجون و ينجبون ... ونحو ذلك من صفات البشر التى لا نقص فيها عليم .

وانما اختار الله الرسل من جنس المرسل اليهم ليكونوا على صلة وثيقة بهم ، شاعرين بأحاسيسهم ، مطلعين على ما يعانونه من آلام مقيمين عليهم الحجة الدامغة بايضاح الطريق لهم

قال تعالى : (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) التوبة ١٢٨. وقال تعالى : (قل انما انا بشر مثلكم) فصلت /٦ ، الكهف /١١٠ . وقال تعالى : (قل لا املك لنفسى نفعا و لا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاسكثرت من الخير وما مسنى السوء) . الاعراف /١٨٨ . وقال تعالى : (لقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا و ذرية) الرعد /٣٨ . وقال تعالى : (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ...) الفرقان /٢٠ .

وقال الرسول الكريم ﷺ : (انما انا بشر أنسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكرونى) (١) اخرجه البخارى و مسلم .

٣) مهام الانبياء :

الانبياء والرسل هداة البشر الى الحق والخير والهدى ، واهل القيادة الروحية التهذيبية ، ميزهم الله بالفطرة السليمة ، وبلغهم بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه ، والامانة على مكنون سره ... اشرفوا على الغيب الجزئى باذنه ، وعلموا ما حدثوا به عن جلاله ، وما خفى عن العقول من شؤون حضرته ، بما شاء ان يعتقد العباد ، وما قدر ان يكون له مدخل فى سعادتهم ... علموا الناس ما شاء الله ان

يصلح به معاشهم و معادهم ، وما اراد ان يعلموه من شؤون ذاته وكمال صفاته ...

بلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم فى تقويم نفوسهم ، وكبح شهواتهم ، وعلموهم من الاعمال ما هو مناط سعادتهم و شقائهم ، وبينوا للناس من احوال الاخرة ما لا بد لهم من علمه [1] ولهذا لم تخل امة من واحد منهم يتلو عليهم آيات الله و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويقيم عليهم الحجة .

قال تعالى : (وان من امة الا خلا فيها نذير) فاطر/٢٤ . قال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل/٣٦ . قال تعالى : (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون) القصص /٥٩ . قال تعالى : (ولكل امة رسول) يونس /٤٧ . قال تعالى : (ولكل قوم هاد) الرعد /٧ .

نخلص من ذلك الى ان الله بعث فى كل امة رسولا يدعوهم الى عبادة الله و اقامة دينه ، ويشرع لهم من الدين ما فيه صلاح معاشهم و معادهم .

٤) الايمان بالانبياء

اوجب الله على الانسان الايمان بالانبياء ، وتصديقهم فى اخبارهم و طاعتهم فى اوامرهم دون تفريق بينهم .

قال تعالى : (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا و ما انزل الى ابراهيم و اسماعيل و اسحاق و يعقوب والاسباط وما اوتى موسى و عيسى و ما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) البقرة /٣٦ . وقال تعالى : (والذين آمنوا بالله و رسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما) النساء /١٥٢ .

وهؤلاء الرسل منهم من قصه الله علينا فذكرهم بأسمائهم ، ومنهم من لم يقصه علينا ، ونحن نؤمن بهم اجمالا ، ونؤمن بأن الله بعث فى كل امة رسولا ، ونؤمن تفصيلا بالذين قصهم الله علينا وعددهم خمسة وعشرون وهم :

---

(١) اصول الدين الاسلامى ص ١٩٦-١٩٨ و ص ٢١٤ و الامام محمد عبد / رسالة فى التوحيد ص ١٠٠ .

آدم و ادريس و نوح وهود و صالح و ابراهيم و لوط واسماعيل واسحاق و يعقوب ويوسف و شعيب و ايوب و ذو الكفل وموسى و هارون و سليمان و داود والياس و اليسع و يونس و زكريا و يحى و عيسى و محمد -عليهم الصلاة والسلام- .

فهؤلاء الانبياء و الرسل الذين قصهم الله علينا يجب علينا التصديق بهم و احترامهم و عدم انتقاص اى منهم ، ومن يؤمن ببعضهم و لم يؤمن بالبعض الآخر ، او ينتقص ايا منهم فهو كافر .[1]

قال تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله و يريدون ان يفرقوا بين الله و رسله و يقولون نؤمن ببعض و نكفر ببعض و يريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا) النساء / ١٥٠-١٥١ .

خاتمة

القرآن والكتب السماوية السالفة

الدين الحق واحد ، وهو وحى الله الى جميع انبيائه ، وهدفه واحد وهو توجيه البشر الى طريق الحق و الخير ، واصوله ثابتة لا تتبدل ، ولا يختلف فيها الرسل ، بخلاف الشرائع العلمية فهى متفاوتة بينهم ، وهى حق وخير مالم تنسخ .

قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : **(اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) الانعام/ ٩٠ . المراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله و توحيده واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة ، وهى هدى ما لم تنسخ ، فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا .**[2]

قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذى اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم و موسى وعيسى ان اقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه) الشورى /١٣ .

لكن الكتب السماوية السالفة التى لها وجود اليوم ، وهى العهد القديم والعهد الجديد ، ليست هى النسخ الاصلية التى انزلت على موسى وعيسى -عليهما السلام- وانما كتبت بعدهما مدة طويلة ، وقد ثبت انه قد اصابها التحريف و التعديل والنسيان

(١) اصول الدين الاسلامى ص ٢١٣ و السيد سابق / العقائد الاسلامية ص ١٧٣-١٧٥ .

(٢) الزمخشرى / الكشاف ج ٢ ص ٣٤ .

والاخفاء لذلك يكون معنى الايمان بها هو الاعتقاد بأنها فى الاصل من عند الله ، وانها انزلت للغرض نفسه الذى انزل لاتمامه القرآن الكريم ، وما يكون فيها مخالفا للقرآن فهو من التحريف الذى تعرضت له ، فالقرآن جاء مؤيدا و مقوما لما سبقه من كتب . مؤيدا لها تأييدا كاملا قبل ان يصيبها التغيير ، ومؤيدا لما بقى من اجزائها الاصلية بعد ان اصابها التغيير و مقوما و مصححا لما طرأ عليها من تغيير و اضافة . [1]

والحمد لله رب العالمين اولا و آخرا .

(١) اصول الدين الاسلامى ص ٢١٥ .

١) القرآن الكريم .
٢) المعجم المفهرس -تأليف محمد فؤاد عبدالباقى ، طبع مطابع الشعب بمصر .
٣) أثر التطور الفكرى على التفسير للدكتور مساعد مسلم -رسالة دكتوراه -مطبوعة بالآلة الكاتبة .
٤) احياء علوم الدين للامام حجة الاسلام الغزالى ، نشر دار المعرفة -بيروت- .
٥) اصول الدين ، تأليف الشيخ عبدالقادر طاهر البغدادى ، طبع استانبول سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .
٦) اصول الدين الاسلامى ، تأليف الدكتور رشدى عليان والدكتور قحطان عبدالرحمن ، الطبعة الاولى بدارالحرية ببغداد سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
٧) الاقتصاد فى الاعتقاد للامام حجة الاسلام محمد الغزالى طبع المطبعة المحمودية التجارية بمصر .
٨) تحفة الاعالى على شرح العلامة بن سلطان محمد القارى لبعض المحققين ، لم يذكر المؤلف ، مطبوع بهامش ضوء المعالى .
٩) التعريفات - للعلامة الشريف على بن محمد الجرجانى المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ .
١٠) تفسير الجلالين ، للعلامتين الجلال المحلى و الجلال السيوطى ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
١١) الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى ، طبع دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٧٣ هـ بمصر .
١٢) حاشية الامير على شرح الشيخ عبدالسلام على الجوهرة التوحيد ، الطبعة الثانية بالمطبعة الازهرية سنة ١٣٢٤ هـ بمصر .
١٣) حاشية ابراهيم الباجورى على متن السنوسية - المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٧ هـ .
١٤) حسن الافعال و قبحها عند علماء اصول الفقه و المتكلمين (بحث) للدكتور فاضل عبدالواحد عبدالرحمن نشر بمجلة كلية الآداب - العدد السابع عشر لسنة ١٩٧٤ .
١٥) دراسات فى الفرق والعقائد الاسلامية للدكتور عرفان عبدالحميد ، مطبعة الارشاد ببغداد سنة ١٩٦٧ .
١٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، للعلامة محمد بن علان الصديق نشر جمعية النشر والتأليف الازهرية سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م بمصر .
١٧) رسالة فى الوحيد والفرق المعاصرة للمرحوم الشيخ كمال الدين الطائى مطبعة سلمان الاعظمى سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ببغداد .
١٨) ضوء المعالى على بدء الامالى لابى الحسن سراج الدين على بن عثمان طبع احمد البابى الحلبى بمصر سنة ١٣٠٩ هـ .
١٩) الطب محراب للايمان ،للدكتور خالص كنجو طبع سنة١٣٩١هـ -١٩٧١م .
٢٠) العقل عند الشيعة الامامية للدكتور رشدى عليان ، طبع مطبعة دار السلام ببغداد ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

٢١) العقيدة الاسلامية و الاخلاق ، تأليف لجنة من اساتذة قسم العقيدة و الفلسفة بالازهر ، الطبعة الاولى سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م .

٢٢) علم اصول الفقه ،خلاصة تأريخ تشريع الاسلامى ، تأليف عبدالوهاب خلاف ، الطبعة السابعة سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م .

٢٣) علم الكلام وبعض مشكلاته ، للدكتور ابو الوفا الغنيمى التفتازانى طبع مكتبة القاهرة سنة ١٩٦٦ ، الطبعة الاولى .

٢٤) الغنية لطالبى طريق الحق ، للشيخ عبدالقادر الجيلانى الحسنى طبع مكتبة و مطبعة مصطفى الحلبى بمصر سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

٢٥) قصة الايمان بين الفلسفة و العلم والقرآن للشيخ نديم الجسر ، منشورات المكتب الاسلامى -بيروت .

٢٦) لباب النقول فى اسباب النزول للامام السيوطى مطبوع بهامش تفسير الجلالين ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

٢٧) الله يتجلى فى عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء ، نشر مؤسسة الحلبى و شركاه بالقاهرة .

٢٨) مختصر شرح العقيدة الطحاوية للامام ابن جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الطبعة الاولى سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م ببغداد .

٢٩) المقتدى بشرح الهدهدى على ام البراهين المسماة بالصغرى ، تأليف الشيخ احمد بن محمد السحيمى الحسنى طبع المطبعة الاميرية بمكة سنة ١٣٠٤ هـ .

٣٠) المغنى عن حمل الاسفار فى الاسفار للحافظ العراقى بهامش احياء علوم الدين - نشر دار المعرفة - بيروت .

٣١) مناهل العرفان فى علوم القرآن ، للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقانى ، طبع دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى سنة ١٣٦٢ هـ -١٩٤٣ م .

فهرست

الموضوع	الصفحة
المبحث الاول : تعريف بعلم العقائد	٥
المبحث الثانى : الحكم العقلى و اقسامه	١٥
المبحث الثالث : معرفة الله تعالى و صفاته	١٦
المبحث الرابع : القضاء و القدر (او الجبر و الاختيار)	٥٥
المبحث الخامس : التحسين والتقبيح العقليان	٦٣
المبحث السادس : النبوة العامة	٦٧
خاتمة	٨٥
اهم مصادر البحث	٨٧